

الدكتور الحسين بولقطيب



قضايا  
تاريخية

# جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين

4



منشورات

الزمن

الرابع



الكتاب

## المؤلف : الحسين بولقطيب

- أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب، الجديدة.
- رئيس مجموعة البحث في تاريخ الذهنيات.
- عضو اتحاد كتاب المغرب.
- عضو في المجموعة المغاربية للدراسات التاريخية.
- من أعماله
- أبحاث ودراسات عديدة منشورة في عدد من المجلات العلمية والملاحق الثقافية لاتحاد الاشتراكي.
- مجموعة من الأبحاث والدراسات ستصدر قريبا.

وافته المنية رحمه الله في 14 أكتوبر 2001



# جوائح وأوبئة مغرب عهد الموحدين

الحسين بولقطيب

جميع الحقوق محفوظة للنشر

منشورات الزمن





عن منشور الزمن

المدير : عبد الكبير العلوي الإسماعيلي

المشرف : إبراهيم القادري بوتشيش

التحرير : محمد التهامي الحراق

الإخراج التقني : الزمن

\*\*\*

الإدارة والتحرير : 153، شارع سيدي محمد بن عبد الله رقم 7 - العكاري - الرباط

الهاتف ، الفاكس : 00 212 37 29 98 44

\*\*\*

الإيداع القانوني : 2002/1138

الترقيم الدولي (ردمك) : 9954-408-14-2

طبع : مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء

توزيع : سبريس

# تمهيد

دبر (عقیم) (فادوری) بونشیمن



لا جدال في أن التقلبات المناخية عبر التاريخ، وما تفرزه من مشاكل بيئية وصحية، وماتحتته من بصمات واضحة في سيرة التاريخ وانعطافات الكبرى، بعد من أبرز المواضيع التي لا تزال في حاجة ماسة إلى دراسة ومراجعة واستنصاء.

ومنذ أن نشر "لادوري" E. Le Roy Ladurie سنة 1967 كتابه حول تاريخ المناخ منذ سنة ألف، أجمع النقاد على اعتباره فتحاً جديداً في مسار مشروع كتابة التاريخ المناخي، ولو أن الإنصاف يحملنا على القول بسبق ابن خلدون إلى هذا الحقل ولو بمقاربة سوسبولوجية، حين عقد في مقدمته فصلاً هاماً عن أثر المناخ في طبائع وعادات الشعوب.

وعلى الرغم من أهمية التقلبات المناخية ودورها في تشكيل المخطات الكبرى في التاريخ، فإن نتحصر ما كتب في البحث التاريخي العربي المعاصر، يجعلنا نقر بأن هذا الموضوع ظل لحد الآن يشكل بقعة من بقع التاريخ المهم في العصر الرسيط.. من هنا تأتي أهمية هذه الالتفاتة العلمية التي قدمها المرحوم الدكتور الحسين بولقطيب الذي لم نمله الوفاة وهو في عز شبابه العلمي.

ليبري هذا العمل الذي كرسه للدراسة تاريخ المناخ والأدوية  
والكوارث وقد خرج إلى النور.

وإذا كانت أسرة المؤرخين المغاربة قد فقدت فارسا من فرسانها  
الذين تصدوا للدراسة الظواهر المغيبة في تاريخ المغرب، فإن  
الأقدار أبت إلا أن يمتلئ هذا العمل الذي قدمه المرحوم بولفطيب  
إلى دار الزمن قبل أن تختطفه يد المنون، مكسبا علميا تستفيد منه  
أجيال الدارسين والمهتمين بقضايا تاريخ المغرب.

ومنشورات الزمن إذ تقوم بنشر هذا العمل الجاد، فإنها تنطلق  
من مبدأ واجب تكريم أرواح العلماء، راجية أن يكون ذلك علامة  
إخلاص ولمسة وفاء لجهود كل من قدم خدمة لتاريخ المغرب  
والله الموفق.

1

2

3

4

5

6

7

8



# مقدمة



لا يزال البحث في تاريخ المناخ وما يشرب عن تقليده من كوارث طبيعية وأوبئة يخطر خطراته الأولى بالمغرب، في الوقت الذي قطع أشواطاً بعيدة في أوروبا حيث أصبحت نتائجها تقدم خدمات ثمينة للمؤرخين والباحثين وللوقوف على قلة الاهتمام بقضايا المناخ والكوارث الطبيعية والأوبئة عبر مراحل تاريخ المغرب، نكتفي مراجعة دليل الأطروحات والرسائل الجامعية. وإذا كان النهب من معالجة قضايا المناخ حتى في المراحل المتأخرة من مراحل المغرب بعد قاسما مشتركا بين الباحثين، فإن البحث في هذه الإشكالية خلال الحقب الماضية يعد بحق مغامرة بصعب التكهن بنتائجها، فالنصوص القليلة المنتشرة بين مظان مختلفة لا تسمح بتكوين تصور عام عن التطورات المناخية التي شهدتها المغرب الوسيط، فبالأحرى الإجابة القاطعة على الأسئلة المطروحة. إن التمعن في علاقة المناخ بالتاريخ يدفع إلى القول بوجود قاسم مشترك بينهما، فالتغيرات المتتالية التي شهدتها المناخ، كمتابع الفترات الممطرة ومثيلاتها الجافة، تهد شبيهة إلى حد بعيد بالتغيرات التي تصيب الحضارات؛ ولعل نظرية ابن خلدون تقدم النموذج

الأمثل معينه العوارض الدورية التي نصيب هذه الحصارا  
وعلى العموم فإن المناخ والتاريخ يحضرا لتقديرات مستمرة  
فكما لا يمكن التحكم في العوامل الطبيعية، يصعب إلى حد  
"الاستحالة" احداث التحويلات الاجتماعية

وهكذا فإن وضع حظاظة اولية للنظريات المباحية للمعرب  
خلال مراحل تاريخه الساقطة كقيل يرتق العديد من الثغرات التي  
تعاين منها المصادر المكتوبة، وهو في الآن ذاته كقيل بالنقليل من  
لمساحات البصاء التي تعرقل البحث في طواهر اونه صادية  
واجتماعية وذهبية غاية في الاهمية

إن هذا البحث المتواضع يسع -ضمن ما يسعى اليه- إلى  
البحث في التاريخ المباحي البعيد للمعرب خلال العصر الوسيط  
بعد في ذلك ما يساعد في الإحانة على بعض الأسئلة التي  
يطرحها الوضع المباحي الصعب الذي يعيشه المعرب المعاصر



# مدخل



أصبح المعرب يعيش منذ بداية الثمانينات، من انقصر  
عشرين على الأقل، أزمة مناخية حادة، تتجلى أبرز مظاهرها  
في سنوات النحط المتكررة حينا، والمثلاخنة أحيانا أخرى، فضلا  
عن ذلك، فإن سموات أخرى، تتميز بنساقطات صعبة أو منقطعة  
بامبك عن عدم انتظامها فهل تعني هذه الأزمات المناخية  
المتكررة أن المعرب دخل في دورة مناخية جديدة عليه أن  
يتكيف معها من التواحي الاقتصادية والاجتماعية والنفسية؟ أم  
أنها مجرد أزمات عارضة سرعان ما ستمر طال الأمد أمر قصر، ليعود  
الوضع المناخي إلى سابق عهده؟

هذه تساؤلات صمن أخرى يفرصها الوضع المناخي الصعب  
لمعرب الألفية الثانية وبداية الألفية الثالثة إن هذا البحث المتواضع  
يسعى - ضمن ما يسعى إليه - إلى البحث في التاريخ المناخي  
لمعرب على عشر صمتة على ما يساعد في الإحاطة على بعض  
الأسئلة التي طرحها الوضع المناخي الصعب الذي يعيشه المعرب  
معاصر وعلى الرغم من أن دراسة الأوصاع المناخية للمجتمع

المعربي إبان مراحل التاريخية السابقة لم نحرر تقدما يذكر، فإن هذا البحث "سيغامر" بالعودة إلى فترة غارقة في القدم، ويعني بها فترة العصر الوسيط لاستنطاق وثائقها المطبوعة والعمية، ونشرح صوصها ذات العلاقة بالوضع المناخي من أجل الوقوف على التات والمنحول في التاريخ المناخي المغربي

إن الموقع الجغرافي، وطبيعة التضاريس يتحكمان في نوعية المناخ السائد في أي بلد من البلدان وقد أثارت علاقة المجتمعات بالمناخ نقاشا ساحا منذ مراحل مبكرة من تاريخ الإنسانية على أن هذا النقاش قد انحصر منذ القرن الثامن عشر، على الأقل، بين فريقين من العلماء والمهتمين هما: المتخصصون في تاريخ المناخ ورملاؤهم المتخصصون في تاريخ المجتمعات البشرية، فعلماء المناخ يدعون هذا الأخير في أبة معادلة تسعى إلى فهم التطور البشري<sup>(1)</sup>، بل أن بعضهم ذهب إلى حد احتزال تطور المجتمعات في طبيعة التغيرات المناخية<sup>(2)</sup>.

وعس الإقسام الذي ساد أوساط علماء المناخ، انشنت عدواة لنصيب المؤرخين، ففي الوقت الذي يقل فيه البعض من تأثير المناخ على التطور الحضاري للشعوب، يقر البعض الأخرى بأهميته القصوى في تفسير تاريخ الإنسانية، فقد ذهب مونتسكيو<sup>(3)</sup> إلى حد تفسير الاختلاف بين الحضارات بالعوامل المناخية، والظاهر أن كثيرا من الجغرافيين أصبحوا اليوم يقعون موقفا "إمكانيا" من اختتمه مساحة شكل خاص والحقبة الجغرافية شكل عام<sup>(4)</sup>.

وإذا كان الجغرافيون والمؤرخون قد حاولوا إشكالية الحتمية الجغرافية، فإن ذلك لا يعنى عدم اعترافهم بدور العامل الطبيعي في تأثير على محركات الحياة الاقتصادية والاجتماعية ذلك أن هذا العامل، وإن كان تحتل الأهمية التي يحتلها عند كثير من الباحثين، يظل حاضرا كرافد من روافد أي تحليل يرور مقداره أنماط الحياة الاجتماعية

لقد ارتقى العامل الطبيعي ليحل مكانه مرموقة في عهد رود مرسية الحويث الفرنسي كلوسيان فيجرو ولوروا لاوري وفرواند بروديل. وعبرهم هذا حصص بروديل الفصل الأول من كتابه الضحى البحر الأبيض المتوسط والعالم المتوسطي زمن فليب الثاني لدراسة مختلف الوحدات الجغرافية المكونة للساحل المتوسطي، وتقلباتها المناخية، وتأثير هذه التقلبات على الحياة البيولوجية، والزراعة، والملاحة<sup>(١)</sup>

والله هو في علاقة المناخ بالتاريخ يدفعنا إلى القول بحدود قسرية مشتركة بينهما فالعبرات التاريخية التي يعبرها المناخ كغروب، غروب امطره ومثلها الخاف، أشبه ما تكون بالعبرات التي تلحق الحصرات على امتداد التاريخ، فهي تنمو وتزدهر ونسى<sup>(٢)</sup> ولعل نظرية أ. جندون تعتبر النموذج الأمثل لمعادلة العوارض السوية بين نصيب الحصرات وعلى العموم، فإن المناخ والتاريخ يحصرون سفند مستمرة فكما لا يمكن التحكم في العواصف الصعبة يصعب أن نحد الإسحالة أحياء السنو بالتحويلات الاجتماعية



واظنهم ان السؤال المركزي الذي حمل المباح إلى قلب  
استعداده المورخين هو التالي

هل هناك تطابق تام بين المباح والمجتمع في حركتهما المتطرددة؟  
ان الاحداث المتتالية للمورخين هي ما مضى نوعاً من المشروعنة  
على اثار هذه الاشكالية فهل كان للمباح تأثير واضح المعاصر  
على الإنسان والدولة خلال العصر الوسيط؟

يسعى لاعتراف، أولاً، أن محاولة الإجابة على هذا السؤال  
تصدم، بعيد من الصعوبات لعل أسطها انطلق، البحث من  
شبه فرع تطبيقي في هذا المجال واستثناء بحث الأستاذ محمد  
سنيثو الموسوم بـ الكوارث الطبيعية في تاريخ المغرب القرن  
السادس عشر، وبحث الأستاذ محمد الأمين البزاز مدعوم،  
بـ مجاعات وأوبئة المغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر،  
وبحث الأستاذة ثوريا المرابط حول تاريخ الزلازل بالمغرب من  
846م إلى 1960، لإصدار أبحاث ذات نال نهر الاشكالية موضوع  
الدراسة<sup>7</sup> وردا علما أن الباحثين الأولين يهتان الفترة الحديثة من  
تاريخ المغرب، وأن الثالث "نورامي" يهتم اشكالية يعيها أدرك  
ولاشك عتبت بحث محصص لدراسة أثر التغيرات المناخية على  
مجموعات ودور العرب الإسلامى الوسيط

وهكذا، في البحث في تاريخ المباح وما يربط عن نقلته من  
كوارث طبيعية، لا يزال بالمغرب يحطو خطراته الأولى كما أن  
موضوع لبعده المباشر بين مظاهر متعددة لا نسمح بأكبر تصور

عامر عن التطورات المناخية التي شهدتها العرب الإسلامي الوسط، له الإحاطة الشاطعة على الأسئلة المطروحة من هنا، فإن موحده المبحث التاريخي محور هذا الأفق، يعد -في نظرنا- مسألة ذات أهمية ذلك أن وضع خطاطة للتطورات المناخية للعرب الوسيط كميل يرتق بعض الثغرات التي تعاني منها المصادر المكتوبة، وهو في الآن ذاته كميل بالتقليل من البياضات التي تعرفها البحث في طواهر اقتصادية واجتماعية عالية في الأهمية إن حالة المغرب الذي يعيش وصعبتين مناخيتين مختلفتين إحداهما رطبة والأخرى جافة تجعد البحث في تاريخ المناخ عملاً مشروعاً

## هوامش المداخل

1- نظر في هذا الصدد

-Leroy (Indurie) "Histoire du climat depuis L'an nul" Paris, 1967

2- الناصري لمحمد "الكوارث الطبيعية والاحتشية التاريخية"، مجلة كلية الآداب، الرباط، عدد 5 1989 1990 ص 69

3- فلا عن نفس المزمع 67

4- بسبب جوردرة "الجغرافية موجه التاريخ ترجمة جمال الدين الناصري مراجعة دولة صادي، دار ملال الطاهرة، مصر، فون تاريخ، ص 124

5- حبيد امحمد "مدرسة المثلث مناهير التحليل البرودلي" مجلة ليل عدد 991، ص 3

6- الكوارث الطبيعية والاحتشية التاريخية ص 68

7- مرفق: عمر عيان الإحصاءات المناخ والكوارث الطبيعية غير تاريخ المغرب براجع دين الأطروحات والرسائل الجمعية للمجلة بكلية الآداب بالمغرب من 1961 إلى 1994 ومندفاه لسيبي 1995 و1996 مشهورات جامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سلسلة دراسات بيبوغرافية رقم 4 بحث شريف الأستاذ عمر

المبحث الأول

# مفهوم الجائحة

## 1- حضور عامل المناخ في التحليل الخلدوني

يعتبر العلامة ابن خلدون من أوائل المؤرخين العرب الذين استحصروا عامل المناخ في تحليلاتهم. بل إن كورنيلين إذا فسحنا له بعد من أشد المدافعين عن "الحنفية" المناخية ولعل ما يقوم حجة على حضور العوامل الطبيعية - وخصمها عامل المناخ - في مقارنة الحنوية، نخصيه أربع مقدمات من الباب الأول من كتبه المقدمة لدراسة أثر المناخ على الإنسان ومحيطه الطبيعي وهو يجعل المناخ عاملاً رئيسياً في كون الربع الشمالي من الأرض أكثر عمراً من الربع الجنوبي<sup>(1)</sup> وزيادة في الاعتراف بأهمية الموقع الجغرافي، وما يترتب عنه من خصوصيات مناخية، ينص القول في الخصائص الطبيعية والمناخية لأقاليم المعمور السبعة

وفي المقدمة الثالثة من الباب الأول يشرح صراحةً في "تأثير أمواء في ألوار البشر والكثير من أحوالهم"، كما إن له، أيضاً تأثير على أخلاق الناس<sup>(2)</sup> وإذا كانت الرقابة والجوع يؤثران على أقدار الناس وأخلاقهم، فإن طبيعة الموقع الجغرافي للإقليم وخصمه المناخ السائد بهما المسؤوران عن صناعة الخلقين

مد كورين ويذمه ابن حلتون بعيدا في "ختميته" له حنة حبر  
 يحعد محاصرة منكره في الأقاليم المعتدلة، وهي حسب تقسيمه  
 الأقاليم الرابع والثالث والخامس فهذه الأقاليم هو موطن العنوم  
 والصناع والسماس والملاسل والأقوات، والفواكه، بل والحجونات  
 نصا كما أن "سكانها من البشر أعذل أحساما ولونا وأحلا" <sup>(٣)</sup>  
 وأديانا <sup>(٤)</sup>.

وتنوع "الحسية" المتاحة اتصالها عند ابن حلتون عنده بفرق  
 السورة بالمناج ذلك أن الأشياء إنما ظهرت في الأقاليم المتعددة  
 "ولم ينف على خبر بعثة في الأقاليم الحربية ولا استمعية" <sup>(٥)</sup>  
 والسر لكس وراء هذا الامتياز الرباني الذي حظيت به تلك  
 الأقاليم "ن" الأشياء والرسد إنما يختص بهم أكمل النوع في  
 حلتهم وأحلاتهم <sup>(٦)</sup>.

وهكذا، فإن المناج، حسب ابن حلتون، يتحكم تقريبا في كل  
 شيء فهو يتحكم في نوعية السكس الذي يشيده الناس، وفي قلعة  
 ووفرة المعدن من ذهب، وقصة ونحاس وحديد ورصاص وقصدير،  
 وهو أهم حكم، أيضا، في معاملاتهم التجارية فسكان الأقاليم  
 معنده "يتصرفون في معاملاتهم بالفضيلين العربيين" <sup>(٧)</sup>، في الوقت  
 الذي يتعامل فيه سكان الأقاليم البعيدة عن الأعداء "غير  
 محجرين" سريين من نحاس أو حديد أو حلو <sup>(٨)</sup>.

فما أحلاف سكان المناطق غير المعتدلة فهي أقرب إلى حلا  
 أخير، "حتى تستل عن الكثير من السوادان أهل الأقاليم

الأول أنهم يسكنون الكهوف والعيان ويأكلون العشب و بهر  
 متوحشون غير مستأنسون يأكل بعضهم بعضاً<sup>(8)</sup> ولنا تأكيد صحة  
 نظريته حول مسؤولية الملاح عن طمانع الكائنات بعد التفسير  
 الذي تقدمه بعض السابيين لسواد شرة أهل السودان في الوقت  
 الذي يذهب فيه هؤلاء إلى أن السودان هم من ولد حام من نوح  
 ورحا كان قد دعا على إسه سواد شرة ذريته، يعتبر أن  
 حديثهم هذا التفسير "ميتافيزيقيا" ولا يرقى إلى فهم سبب هذه  
 الظاهرة التي تعود حسب رايه إلى "طبيعة الحر والبرد، وأثرهما في  
 الهواء، وفيما يتكون فيهما من الحيوانات"<sup>(9)</sup> فسواد البشرة إنما هو  
 نتيجة "للحرارة المتصاعدة بالجنوب، فإن الشمس شامت رؤوسهم  
 مرتين في كل سنة قريبة إحداهما من الأخرى، فنطول امتامته  
 عامة الفصول، فيكثر الضوء لأهلها، ويلوح القبط الشديد عليهم،  
 وتسود جلودهم لإفراط الحر"<sup>(10)</sup>

وعن التحليل ينطبق على السكان ذوي اللون الأبيض  
 في بلاد لون الشرة، إنما نتيجة "للبرد المفرط بالشمال، إذ الشمس  
 لا تزل «تظهر في دائرة مرأى العين، أو ما قرب منها فيضعف الحر  
 فيها وينشد البرد عامة الفصول، فلهذا يص ألوان أهلها، وتنهي إلى  
 برودة، ويتبع ذلك ما ينضبه مراح البرد المفرط من رقة العيون  
 وبرش جلود وصهرة الشعور"<sup>(11)</sup>. ولنا تأكيد "علمية" أطروحة حول  
 أثر المناخ على لون البشرة مستشهدا ببيت شعري من أرحورة  
 لطبيب العربي ابن سينا<sup>(12)</sup>

وقد اثار سلوك أهل السودان المتعبر بكثرة الرقص والطرب  
 منه اس خللوه فحاول إبعاد تبرير "مطقي" له وكان المباح مرة  
 أخرى المربك الأساسي الذي سى عليه تبرير ذلك أنه "لما كان  
 السودان ساكنين في الإقليم الحار، واستولى الحر على امرحتهم.  
 وفي أصل تكويتهم كان في أرواحهم من الحرارة على سبيل  
 أبنائهم وإقليمهم، فنكون أرواحهم بالقياس إلى أرواح أهل  
 لإقليم الرابع أشد حراً، فنكون أكثر نقشياً، فنكون أسرع فرحاً  
 وسروراً، وأكثر انبساطاً".

إن هذا التفسير هو في الواقع بمثابة رد على تفسير المسعودي  
 المجاب للصواب - حسب ابن خلدون بالطبع - لأنه اكتفى فيه  
 باقتباس رأي كل من جالينوس ويعقوب بن إسحاق الكندي،  
 اللذين يرحعان فيه خفة السودان وطيشهم، وكثرة الطرب فيهم  
 إلى "ضعف أدمعته وما شأ عنها من صعب عقولهم".

إن هذه الأمثلة وغيرها التي يقدمها ابن خلدون بتدليل على  
 أهمية المناخ شبيه بما لا يدع مجال للشك، أن التقلبات الدورية  
 التي يعرفها المحيط الجغرافي، بما ينتج عنها من جوائح وأوبئة،  
 أو خصب زائد أحيانا، قد لفتت انتباه الناس منذ فترة مبكرة، فحاول  
 كل واحد منهم تفسيرها حسب تجربته ومستواه المعرفي، وحسب  
 "إسنيني" العصر بشكل عام

وحلاصة القول، فإن ابن خلدون يجعل المناخ حجة انزوية في  
 تخفيه للاحساس البشرية ودياناتها، وأحوالها الاقتصادية والاجتماعية

وتحتمل الإشارة إلى أن هذه "الحنمية" المباحية التي يدافع عنها  
 حلدون، شبيهة في كثير من أوجهها "الحنمية" الحبيبة التي ساء  
 عدد من علماء السوفولوجيا الوراثية في الوقت الراهن بعد عصر  
 ر. ل. ك. عصر "حنمية" النابعة من المستوى الذي بلغه العصر<sup>16</sup>

وعلى الرغم من كل الملاحظات التي يمكن إيرادها حول  
 انحبيل الحلدوني فإن سرته الأساسية تكمن في أنه يدافع إلى  
 تفكير في سيطرة الطبيعة. وقسرها، ووقفها أحياناً عديده في وجه  
 تطورات أساس العصر الوسيط المعتمد على مجموعة من الآلات  
 وأجهزة غير منظورة بما فيه الكفاية

والظاهر أن ما حداً من حلدون إلى الاهتمام أكثر الظروف  
 الخفية هو وباء الطاعون الذي ضرب آسيا الوسطى عام 1345م  
 وسدح الديموغرافية والاقتصادية والسياسية المترتبة عن هذا وباء  
 ما كان له ر. ل. ك. أن حلدون "محايداً" وهو الذي سعى في  
 مقدمته إلى التفسير لحيل بأكمله<sup>17</sup> لقد سبب الطاعون الأسود  
 في نقاشات مثالية تباين اهتمامات أصحابها فالغناء احتلوا بين قديم  
 لأسباب طبيعية للعنصرية وقال بأنه تعبير عن إرادة الله. وفي  
 مقدر أشهر الأطباء بالبحث عن العلاج المناسب لهذا  
 وباء حرمه أوقافه التي نحد من انتشاره<sup>18</sup>

فقد حذر أن حلدون اعتماداً على فلسفته في اجتماع  
 الأساسي أن يبحث عن أمهات هذا الداء "التي يجب الأمر وذهب  
 بعد أحسن وضوح كثيراً من محاسن العمران ومجدها<sup>19</sup>، فلاحظ



أو "سنة نو" ،العالم بلاد الهواء لكثرة العمران وما تحده من بحر  
ورطوبة لندسه وإذا سد الهواء، وهو غذاء الروح الحيوانية وملاسه  
منه فيسرى الفساد إلى مراحه فإذا كان الفساد قوياً وقع امره ثم  
برئة وهذه هي الطوائع وأمراتها مخصوصة بالبرئة<sup>(18)</sup>

ويقترح بتوقيف من هذا الداء والذي يعتبره داء "حصرياً"  
بمتبر ترك مساحات فارغة من المساكن والمباني، "للكور موج  
الهواء بهب بما يحصل في الهواء من الفساد والعمى بمحاطة  
حيوانات ويأتي "ببوء الصحيح"<sup>(19)</sup> ويستدل على صحة تفسيره  
بقول ابن رافع عدد الصحابة "يكون في المدن المرفوعة بحور  
أكثر من غيرها بكبر كمصر بالمشرق وفارس بالمغرب"<sup>(20)</sup> وهكذا،  
فإن "كثرة العمران ووفرة أحر الدولة"<sup>(21)</sup> هو المسؤول في نهاية  
المطاف عن انتشار هذا الداء وإذا كان ابن خلدون يعترف  
بحدثة انوف بعدد من الإبحات، فإن نسبها في هذه الأوسنة  
بعد أحد معاطبها الرئيسية

## 2- تعريف الجائحة عند الفقهاء

قد كنت الجوائح والكوارث الطبيعية من الأفت المأزفة حلال  
العصر بوسيط وطراً لما كان يترتب عنها من مشاكل اقتصادية  
وإقتصادية بر الفقهاء حاولوا أن يصوغوا لها تعريفاً مدققاً ومضبوطاً  
ساعده على حل تلك المشاكل من جهة وجمع، من جهة أخرى  
سبلار لغرض المحظ بها للتهرب من الوفاء بعدد من الالتزامات  
الاقتصادية وماليه وبالعودة إلى كتب الفقه والعقود والوثائق يسر

إن الجوائح تختلف باختلاف مسبباتها من جهة، وبوعية القطاعات التي تضر بها من جهة ثانية. على أن ما تجب الإشارة إليه هو أن الجوائح لا تنهر ميداناً دون آخر، فهي تصيب القطاعات الإنتاجية الأساسية من زراعة وحرف وتجارة. وفي الوقت ذاته تضر الإنسان نفسه معرضاً لمثل هذه الجوائح، وهي التي اصطلاحاً، الناس، عادة، على تسميتها بالأوبئة والأمراض الخطيرة كالطواعن والسيل والجذام.

وقبل الانتقال لتفصيل القول في الجوائح ذات المنشأ الطبيعي، لابد من تسجيل النقاشات التي أثارها الاضطرابات والفتر الناشئة عن الحروب. ويسندون أن الحروب كانت لها تأثيرات اقتصادية واجتماعية فاقت أحياناً مثيلاتها الناجمة عن الجوائح والكوارث الطبيعية. وهكذا، فإن بعض الناس طالبوا بإدخال ما يترتب عنها في دائرة الجوائح تمهيداً للنحل من بعض الالتزامات والتعهدات المالية للناس العديد من هذه المحاولات من خلال الركام لهائل من التواريخ المعروضة على الأنة والنفاء والمختبر<sup>(22)</sup>

ويسبغ الاعتراف بأن الجيش كان من وراء عدد من المشاكل الاقتصادية والاجتماعية في مجتمع ينشأ اقتصاده على العز، بعد استعلاء الجيش من الأمور العادية جداً، غير أن هذا الاستعلاء يتصاعد أوقات اضطلال الدول بسبب قلة العطاء الذي درج الحلفاء والسلاطين على منحه لأجسادهم ولنفادى تمرد الجيش كان حلفاء عهد الأرمية يرسلون عناصره لاستراخ روايتهم

واسباب معاشهم من السكان العرب، أو من أفراد القبائل الحارحة  
عن عود الدولة<sup>(23)</sup>.

ومن جانب آخر، فإن ضعف السلطة لا يترتب عنه استعلاء  
الحسد وطغيانه وحسب، بل يترتب عنه أيضاً، بفعل انعدام الأمن،  
أعمال السرقة والنهب وقطع السبل، والسعي على ممتلكات  
السكان من طرف أفراد عاديين<sup>(24)</sup>، يستهرون الفرصة للحضور على  
حاجبتهم من العذاء والمال واللباس.

ومهما كان، فإن الفناء والمعتن اختلوا اختلافاً بينا حول اعتبار  
الأضرار التي يلحقها الجيش والسرقة بالممتلكات جوائح.

فأبو إسحاق الغرناطي<sup>(25)</sup> وابن فنوح<sup>(26)</sup> لا يدخلان أضرار  
الجيش والنصوص في عداد الجوائح إلا حينما تبلغ تلك الأضرار  
متدار الثلث أو أريد في الثروة المحاجة في حين يذهب أبو هارون<sup>(27)</sup>  
إلى نفي طابع الجائحة عما أسداه النصوص، حين يدخل هذا الإفساد  
في باب "سوء الحرص" من طرف المالك وفي المقابل يعتبر أن فساد  
الثروة لعدم وجود مشنري لها إبان الفسنة جائحة<sup>(28)</sup>.

وحيث لا تعلم كيف سمح أبو هارون لنفسه أن يدخل ما أسداه  
الجيش في باب "سوء الحرص" فهل بإمكان فلاح أو حتى عشرة  
فلاح أن يواحبوا سرية بأكملها وأن يجمعوا أفرادها من الخاق  
أضرار يبحاثرهم أو ررهم علماً بأن عناصر الجيش يكتوبون دائماً  
حاملين لأسلحتهم؟

وقد حرص الفقيه أبو الوليد بن رشد الحفيد<sup>(29)</sup> احتلاف

نفهاء حول هذه الإشكالية في قوله: "وأما ما أصاب من صاع  
 لا مبيع، فبعض أصحاب ممالك رأوا حاجة وبعض مملكة  
 حاجة وليس رأوا حاجة انقسموا قسمين فبعضهم رأى منه  
 حاجة، ما كان عالماً كالجبش، وأمرير ما كان معه قصه<sup>31</sup> حاجة  
 مثل اسرفه وبعضهم جعل كل ما يصيب اثمرة من جهة  
 الادمير حاجة أي وجه كان"

وإذا كان الفقهاء يختلفون حول اعتبار ما يترتب عن لأفهم  
 الشرعية حواجاً، فإنهم يتفقون على أن الإصرار المترتبة عن تقديرات  
 طبيعته تدخل في باب الحواج والحاجة عند الفقهاء هي كد  
 مر لا يمكن دفعه ولا يقدر على الاحتراز منه كالريح والمنظر والبرد  
 والحدس ونظير والدود والنعم والتسرية والبار<sup>32</sup> وهكذا فإن  
 الحاجة هي في عرف الفقهاء "من أمر السماء لا من فعل الذن<sup>32</sup>

واظهر من خلال العديد من السوارل أن الحواج كانت تسبب  
 في مشاكل لا حصر لها بين الباعة والمشتريين كما يبدو أيضاً أن  
 بعض السعة كانوا يقومون باحتواء عيوب صانعهم، وعدم التصريح  
 بها بمشترير وحين ينقطع هؤلاء الاحيرير يرفض الباعون رد  
 الثمن المفروض من ذلك مثلاً "ان رجلاً اشترى حبة من رجس  
 احيرير واصهر عند الاشباع وفيه ايها فبعض الثمن ودكر  
 لمشتري ايها فبعض منه باقي الثمن، وتبعاً للإشهاد له من د معهما  
 به يريد فقام عليهما بالعيب<sup>33</sup>"

ويرد في الأمر سوءاً بالنسبة للعلاحيين الذين لا ارض لهم فهم  
 فقوموا كبراء الارض من الملاكين الكبار، أما فقهاء دي

و من جهة أخرى من الإبتاح بعد جمع الموصول ويحدث أن يلحق  
لكوايته أي معه كاللفظ أو الفيضان أو الخراج أو صرر<sup>(35)</sup> شعبة  
محصنة فلا يستطيعون الوفاء بالتزاماتهم للمالكين مما يضطر  
هؤلاء بحوء أي ابتغاء من أجل إصافهم<sup>(36)</sup> وفي مثل هذه  
الأمور فإن الفقه الإسلامي حدد مفهوم الأراضي الخجاجة ونحو  
لا يبرر مستعديه كبراء في تلك التي تصاب باللفظ أو مثيلاته نبي  
تعطيه المياه إلى حين فساد محاصيلها<sup>(37)</sup>

وفي غالب، فإن الفقهاء والقضاة كانوا يظنون من أملاحي  
أي حجة أراضيهم تقديم دليل ملموس على ما يدعونه ولم يكن  
أدليل سوى الإتيان بمجموعة من الشهود لتعريف دعاويهم وسبب  
كثرة هذا النوع من المشاكل فقد ظهر إلى الوجود منه مصور في  
كتابة عنود الخوارج وبإمكان الباحث العثور على صلاته من هذه  
العنود عند كل من ابن سلمون<sup>(38)</sup> والجبري<sup>(39)</sup> والغرناطي<sup>(40)</sup>  
ويجب على هذه العنود نشأته معلوماتها وصيغ كتابته إذ لا تختلف  
عن بعضها سوى في أسماء المنصرين ونوع المنوع المحجج ورواية  
بعضه، وكما أسماء الشهود وفيما يلي نموذج من هذه العنود  
"شهود هذا الكذب يعرفون فلان فلان أنه سألهم الوقود، معه  
في شجرة نير أن كانت واحدة، وحداق الأعمام التي لفلان  
موضع كذا وحدودها كذا فوقوا معه إليها وغابوا ثمرة الشجرة  
أما كورة فذهب منها بنو إلى الأمطار واتصال لعب النسب  
أو انصد لا يشكون في ذلك فهذا أدلك كله حسب منه مر

عرفه وتحققه، وبحوز المكان المذكور بوقوفة إليه في تاريخ كذا»<sup>(40)</sup>،  
وبالمثل فإن القطاعين التجاري والحرفي عايبا بدورهما من  
الجواح، أو من تأثير الأزمات الناتجة عنها فقد سئل الفقيه ابن رشد  
الحمد<sup>(41)</sup> عن "حكم النفاق إذا قل وأردها لسكناها، والأرحى إذا  
قل الطعام للطحن هل يعتبر ذلك حائجة يحط بها الكراء أم لا"  
كما سئل، أيضا عن "الحوائت المكتراه إذا قلت التجارة لصعب  
أساس، هل يعد ذلك حائجة يحط من كرائها"<sup>(42)</sup>، ويتفق الفقهاء على  
عدم اعتبار النتائج السلبية المترتبة عن المجاعات والكوارث  
الطبيعية حوائجا، "فالكساد ليس بحائجة، وقلة الربح ليس بحائجة،  
وغلاء السعر ليس بحائجة، وسوء حرص المستاع عبر حائجة"<sup>(43)</sup>  
من خلال هذا التمييز الذي أقامه الفقهاء بين الجوائح التي تصيب  
القطاع العلاجي ومثيلاتها التي تصيب القطاعين الحرفي والتجاري،  
ينبغي أن التجار والحرفيين كانوا أكثر تضرراً من نتائج الكوارث  
الطبيعية ولربما يكون هذا التهميش الذي عانى منه القطاعان  
المذكوران من بين العوامل المساهمة في عدم ارتفاع العاملين بهما إلى  
مستوى لعب الأنوار الممطرة بهم من الناحيتين الاجتماعية والسياسية.  
لعل ما يمكن استنتاجه من مواقف الفقهاء أنهم لم يرتقوا إلى  
مستوى فهم ارتباط القطاعات الإنتاجية بعضها بعض، وتداخلها من  
الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية. ذلك أن هذا البصير الذي سير  
هذه المواقف يمكن أن نجد تبريراً له في هيمنة القطاع العلاجي على  
هذه القطاعات الإنتاجية الأخرى خلال المرحلة المدروسة، لذلك

لم يعمل الفقهاء سوى على إعادة إنتاج هذه الهيمنة على صعيد  
 خطاب لعمى وفي الواقع، وإن تضرر القطاع الملاحي كدور يودي  
 حتم إلى تضرر القطاعين الرئيسيين ويعني بهما القطاع الحربي  
 والقطاع التجاري والمسرجات الملاحية شكلت عصب المبدلات  
 التجارية داخل البطر الواحد على الأقل وما دام أن أغلب  
 السكر حلال العصر الوسيط كانوا ينظرون بالنوادي، فإن أي عور  
 مادي يصيبهم يكون له تأثير على الأنشطة التجارية والحرفية  
 داخل الحواضر

### 3- متخيل المغاربة حول أسباب الكوارث

#### الطبيعية والأوبئة وبقية الظواهر المماثلة

نادراً ما يهتم المؤرخون التقلديون بقصة المنحيد، فهم  
 يعتبرونه، عادة، تدخل ضمن اهتمامات دارسي الأدب والعقليات.  
 غير أن الوضع تبدل في الوقت الراهن مع التطورات التي عرفتها  
 علوم الإنسانية وصمها "علم" التاريخ فالتداخل بين التخصصات  
 أصبح سنة ياررة من سعات البحث العلمي المعاصر والمورخ لمحدث  
 لم يعد يهتم بالظواهر السياسية دون غيرها، بل أنه أصبح يتحجج  
 في الوقت الراهن، إلى طواهر أخرى لها أهميتها في تحديد مسار  
 ومعرفة التاريخية للأفراد والشعوب، وفصلاً عن دين،  
 فإن المورخ المعاصر، أصبح على وعي تام بأن الإحاطة بمحدث  
 أبعاد الظاهرة التاريخية والعوامل الفاعلة فيها، يفرض عليه السلاح  
 بمدح أخرى عبر المنهج التاريخي وهكذا، أصبح المورخ يستعين

معهم الاقتصاد والاجتماع والأنثروبولوجيا والفلسف والمسيحيات  
والمسيحيات والإحصاء وغيرها من العلوم الدقيقة أو من عدة  
كما اصطلح على تسميتها

بعد السحب في متحليل معارضة العصر الوسيط حول أسباب  
الكوارث الطبيعية والأوبئة. سيما عند المباحث، ولاشك، على  
الامام المستنوي المعروف والعلمي للخاصة المذمومة من جهة  
وطبيرة عند العامة من جهة ثانية. كما سيساهم ايضا في الكشف  
عن أكثر الأوبئة والكوارث انتشاراً ذلك أن الاهتمام الواسع  
بمرض معين أو كارثة ما لا يتصل عن عودتهما المنكررة وحضوره  
سندبح المترتبة عنهما

فبمستثناء فئة من العلماء الذين حاولوا البحث عن تفسير  
"عالمية" سكوارث الطاعنة والأوبئة التي حدثت سكان امغرب  
لوسيط، نجد معظم المؤلفين ينساقون وراء التفسيرات الخرافية  
حيث، و"العيبنة" أحيانا أخرى ويأني العلامة ابن خلدون على  
رأس الذين حاولوا أن يحدوا تفسيراً منطقياً لارتفاع أعداد الموتى  
وكثرة المجاعات في الفترات المتأخرة من حياة الدول والمجاعات  
ترجع - في نظره - إلى "عدم اهتمام الناس بالبلح بسبب كثرة  
العدو على المحاصيل أو ارتفاع أسعار الحماية، بسبب حاجة  
السلطان إلى الأموال"<sup>(43)</sup> أما ارتفاع عدد الأموات فيعزى و  
كثرة المجاعات، أو كثرة الاضطرابات والعنف، أو - كما يرى الأروم  
سبب فساد الهواء<sup>(44)</sup>



سعى الاعتراف بأن ابن حلفون قد وضع لاصبع على  
 لأسس المؤسسة المؤدية إلى كوارث المجاعات مع ما ينتج عنه من  
 دماء وأموال والموتة الوسطية كانت دولة عسكرية متميزة  
 حيث أولت حلاً اهتمامها لقضايا "الجهاد" داخلياً وخارجياً  
 عدم مدى شناعة المحال الذي كان على دولة كموتة موحدة  
 أن تراقبه وتدافع عنه ضد المنافسين والمحصرين، إن كان  
 ضحية القوة العسكرية الواحد تلو الآخر ولا يحمي أن مثل هذه القوة  
 تحتل في مصاريب وشكايب باهظة لتوفير رواتبهم ومطعمهم  
 ومشربهم فضلاً عن أسلحتهم وألوانهم والأعطيات التي كانت تدرع  
 عليهم وهي في طريقها إلى ساحة المعركة

وإذا كانت الأمور تسير على مايرام خلال فترات حكم  
 خلفاء والسلاطين الأقوياء، فإن الفترات المتأخرة من حياة الرسول  
 والتي تتميز في أعاليها بظهور عصية منافسة مطانية بالحكم تشهد  
 انقلاب موارد القوى، حيث تروح جميع الإمكانيات الاقتصادية  
 لخدمة لأهداف العسكرية، الشيء الذي يؤثر سلباً على أنشطة  
 لانتاجية ويسبب اضطراب حمل الأمن والانشطاط الحياتي المتميز  
 بسياسة الدولة خلال هذه الفترة، فإن الفلاحين يهجرون أراضيهم  
 ويتركونها سواربار، هذا العزوف عن إنتاج الغذاء هو الذي يكون  
 سبباً في المجاعات المؤدية إلى كثرة الأموات وهكذا، فإن ابن  
 حلفون حذر على عكس عدد كبير من الفقهاء والمؤرخين -  
 أن يبحث عن السر الكامن وراء الكوارث والمجاعات داخل أسلوب

الإنتاج السائد خلال العصر الوسيط، وهو أسلوب ممكن عنه  
ب"أسلوب الإنتاج الحربي"

ورغم ما عرف عن ابن زهر من تصلع في الطب والكشف عن  
ماهية الأمراض، فإنه مع ذلك بصر حير لا يتوصل إلى الكشف  
عن كنه بعض الأمراض والأوبئة إلى الاستنجاد بالفكر "العبيي  
من ذلك مثلا تصريحه "أنه قد يكون [هناك] وباء من غير سبب  
معلوم عندها، قال من عصب الله -عز وجل- وهذا إذا وقع بسبب  
للطبيب فيه محال"<sup>(45)</sup> فإين زهر هنا -على عكس ابن حلدون-  
يدافع عن عجز الطب وقصوره عن فهم مسببات بعض الأمراض  
بإرجاعها إلى غضب الله.

وعلى نفس النهج سار ابن البناء العدي المراكشي، فهو لم  
يسلم بدوره من السقوط في أفة التبسيط واللجوء إلى التفكير  
الحرايبي بنسب ذلك، فوضح حيسا يقوم الربط بين بعض الأوبئة  
وبين طواهر فلكية قد تحدث خلال أشهر معينة من السنة ففي  
تعليله للتكوارث التي قد تحدث خلال شهر يناير يقول<sup>(46)</sup> "وإن  
كسفت الشمس أو القمر في هذا الشهر يكون جوع ببلاد المغرب  
ويقتل مطر، ويكثر الثلج والجليد، وتموت الوحوش ويأثي الجراد"  
وعن التفسير بلحا إليه عندما جعل الزلزلة التي تحدث في شهر  
فربر دليلا على حصوة العام<sup>(47)</sup>

أما ابن هبلعور القاسي<sup>(48)</sup> فهو يجمع في "مقالته حول الأمر من  
الروسة" بين التفسيرين العلمي والحرايبي فهو في أمثلة برط،  
ويحس عديم بارز بين الهواء وفساد نظام التعددية ويد حلول

الأوينة ويستشهد في هذا الصدد برأي الأطباء الذين "يرغمون أن  
تعبير الهواء يكون من تغيير الفصول ويكون سبب فساد الهواء  
الاحمر المتعممة الصاعدة من الأرض وذلك أن ترتفع أحجرة فساد  
معصية من السباح والأوخام التربة الرائدة في الهواء واقطار  
الناس وفصلاتهم، وحيث القمل والذباب فيتعبر الهواء عنها  
ويتعفن، ويحدث عنه الوباء" ولم يمس الربط بين الغلاء والشدة  
الذخيرة عن الحروب وبين ظهور الأوينة ويستدل على التلامس بين  
العلمين بقول شيبه: "إذا ظهرت الخواارج [الثوار] واشتدت العتمة،  
فحق ظهور الغلاء لأنه لا رملها وباشى عنها وإذا كان الغلاء  
واشتدت أسبابه لزم عنه الوباء وهو علم صحيح وقانون مطرد  
لا يحتاج فيه إلى تعديل ولا نظر في السحور" (49)

غير أن التفكير الخرافي بطل مع ذلك، ملارما لأن هيدور  
دك أنه سرعان ما يجعل فساد الهواء وتعبيره مرتبطين بحركة  
الاحرام والكواكب ذلك أن "فساد الهوى وتعمفه يحدث سبب  
مطارح أشعة الكواكب المفسدة للمزاج المسؤولة على القرامات  
وتحاول السيد" (50) ويبدو حلاء تعايش التفكير العلمي والخرافي  
في عقلية "المثقف" المغربي الوسيط في الطريقة التي يقترحها أن  
هيدور لعلاج وباء الطاعون، فعلاجه يشر "بطريقتين الأولى  
طريقة أسرار الحروف والتوجه إلى الله تعالى بالدعاء المأثور،  
والطريقة الثانية [هي] الطبعة" (51)

وهكذا فإن عصر الإنسان المغربي خلال العصر الوسيط عن  
بهر بعض الظواهر الطبيعية، جعله يبحث عن مسماتها في عالم

ما وراء الطبيعة أحياناً، أو يربطها بفساد النظام الاجتماعي، حيث  
 جرى دحذب والقحط من منظور منتج من معين الدين ليست سوى  
 عقاب من الله للأسان على انحرافه وتماديهِ في المعصية واعتصمه  
 عن شكر عمر الله<sup>(٩٢)</sup> كما أن النار التي تسبعت من نوبة برهه  
 ما ليست سوى اندثار للناس غرب نهاية العالم بما عليهم أن هم  
 أردوا الخلاص وتلافي نهاية مأساوية إلا أن ينوبوا إلى الله وإن  
 يقلعوا عن ارتكاب المعاصي<sup>(٩٣)</sup>

والراجح أن السلطة الموحدية مسها كانت تستعر حور  
 الأوبئة والكوارث الطبيعية لتبرير ادكائها الداعية للحضوع. لو  
 منطقت وترسيخ فكرة علاقة تلك الأوبئة والكوارث بالخروج عن  
 تعاليم الدين، ومن اللافت للانتباه أن الدولة عابداً تحت أي  
 شبي هذا التفسير في اللحظات العصيبة من حياتها في عذبة نكث  
 فنز ويطهر النوار والمستهرون. محد مصداقاً لهذه الفكرة في الرسالة  
 نبي وحبها الحبيبة الموحدي يوسف المستنصر عام 617هـ/1220م  
 في كفة سكان الإسراطورية لشمير على الأمر بالمعروف والنهي  
 عن المنكر<sup>(٩٤)</sup>

ولا يخفى أن فترة حكم هذا الخليفة شهدت اضطرابات سياسية  
 وفنصارية واجتماعية سبب هزيمة الجيشوش المعركة  
 عام 609هـ/1213م في معركة العباب ضد نصري الأسلم  
 وهكراً فار والده محمد الناصر بن المصور 595هـ/610، تركه  
 عرشاً منوعاً وممارداً من مشاعب الخليفة الجديدة برامس فترة ولايته

مع سوابي سوان الحلب التي لعب دورها في معارضة  
عام 617 هـ / 1220 م. وهي الجماعة التي شككها الطاعن والمقيم  
"حسب عصر أس عذاري المراكشي"<sup>(55)</sup>

ونرى أن السلطة هي المستعدة الوحيدة على صعيد الفكر  
والخطاب من قسوة الحال على الفئات المستضعفة، بل إن كوارث  
حدثت والقحط، ما ينتج عنها، عادة، من أزمة وأمر، أصفت  
شرعية اجتماعية وسياسية ودينية على نيار اجتماعي كان  
لا يزال يبحث له عن موطن فدمر داخل الخريطة السياسية  
والتدبيرية ويعبى به نيار الأولياء والصلحاء إذ لم يكن هؤلاء  
بالداخل من صورة الشرائع الاجتماعية المتدنية من ناحية  
السياسية بل تعدوا ذلك إلى البرور على الواحدة الاقتصادية،  
ذلك أن "سطاء" هذا النيار اعتسروا الواحدة الاقتصادية مسراً  
أررو من حلاله حصورهم الناس إلى جانب المستضعفين،  
هادفين من وراء ذلك إلى اظهار فشل السياسة الاقتصادية  
والاجتماعية للدولة كما حاولوا عن طريق المساعدة من  
كبروا يقدمون للمحتاجين إلى الحلول محل الدولة، فمهدوا سطاء  
مرساء "دولة الوحي" عوض "دولة الأمير"

فبالقاء نظرة على كرامات عفا منهم، يتبين أن كرامات  
الاستغناء، والطعام، أو تكثيرة تعاد أن لا يترك بيده<sup>(56)</sup>  
صد عفا معروف أن ما يندفع الناس السطاء عادة، إلى اللجوء بحسب  
المعور من الأولياء هو البحث عن الحلول لأزماتهم الشخصية أو

الاجتماعية، أو الشعور بالظلم نتيجة للاستبداد السياسي، أو البحث عن علاجات مقترحة للأوبئة والأمراض المستعصية ومنه، أيضاً، ملاحظة أساسية لابد من إثباتها، وهي أن الولي اعتبر داخل المجالات المحافة وشبه المحافة وحده القادر على تقدير الحلول للاستكساث الطبيعية. حتى وإن كانت هذه الحلول مجرد حلول تنظيمية ليس إلا.

ويظهر أن وطأة الجفاف وما يترتب عنه من مجاعات وأوبئة كانت كبيرة في الأراضي البورية، أودات المياه الجوفية لعذرة مثل دكانة وعبدية وحاحة وبعض جهات البحر ففي هذه الجهات يعتمد السكان على المطاف لحرث ما نجود به السماء من مياه أثناء السنوات المطيرة<sup>(57)</sup> لذلك تخصص أولياء هذه المناطق التي تعاني عوراً مائياً في الاستسقاء<sup>(58)</sup>

ومن الملاحظ أن تدخل الولي لإبرال المطر، ينشر أثناء حبه، وأيضاً، بعد مماته، فقد تزامنت وفاة الولي عبد الله بن محمد بن عبيد الله المحجري مع قحط شديد رل بأهل سبنة عام 591هـ/ 1941م، فلما وضعت جمارته على شفير قبره توسلوا به إلى الله تعالى في إغاثتهم ونذارهم بالسقيا، فسقوا من تلك الليلة مطراً رلاً وما احتل الناس إلى قبرة مدة الأسبوع إلا في الوحل<sup>(59)</sup>

وفي مقبل هذا الحصور المكثف لكرامة الاستسقاء بالمناطق التي تعاني من الحصاص المائي، لا عثر في كتب المناقب إلا عن حالات نادرة لأولياء مقيمين بالمناطق المطيرة احتصروا هذه الكرامة<sup>(60)</sup>.

من خلال ما سبق يتبين بوضوح أن تأثير الحواجز على معارضة  
العصر الوسط كان كبيراً ففي مجتمع يعتمد بشكل أساسي على  
عمادات الزراعة كان ضرورياً أن يحتل الماء حيزاً كبيراً ضمن  
الاشغالات اليومية للسكان ذلك أن أي نقص أو زيادة فيه كان  
يؤدي إلى كارثة حقيقية إن عدم مواصلات الإنتاج في  
الغداة، وبالشكل الذي يتيح مواجهة عصب الطبيعة أو شحها هو  
الذي جعل الحواجز تحتل مكانة مركزية في محياال الإنسان  
المعربي الوسيط







- الإمام من دكتور "شعر ورواية الأديب والشعور الإسلامي" الرابطة 981 ج 7 ص 452-453  
وكذلك: طرزي هادي ص 43
- 42- اسمه ص 302
- 43- نفس المصدر والصحة
- 44- ابن زهير المؤرخ عبد المولى "كتاب الأعيان" شذير وترجمه وتحقيق أكسيون عيسى  
سائير، مدريد 1991، ص 146
- 45- ابن البناء أبو العباس أحمد النعدي المراكشي، "زوائد في الإبراهيم" لعيسى بشرها وتصحيحه  
دكتور هـ-ج-ر، باريس 1948 ص 3
- 46- نفسه ص 4
- 47- ابن عيدر أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد، "مناهج في الإبراهيم الروائية" مخطوط خزانة  
الحسينية، رقم 9605، ص 1
- 48- نفسه ص 2
- 49- نفس المصدر والصحة
- 50- نفس المصدر والصحة
- 51- "النفوس أبو تاسر أحمد"، "العلماء المطرود في كتب علماء المرسل" مخطوط الخزانة الحسينية،  
الرباط رقم 4148، ص 128
- 52- مجهول "تدوير النسب" تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط 1972 ص 81
- 53- ابن عماري أبو عبد الله محمد المراكشي "البيان الشعر - في أخبار الأندلس وأندلس" المسمى  
الموجود تحقيق مجموعة من الأندلس، بيروت 1989 ص 267-268
- 54- نفسه ص 266
- 55- Ferhat (H) et Tair (H) "Hagiographie et religion au Maroc médiéval" Hermetis-  
Tamada, Vol. XX 1986, p.42
- 56- مناج، محمد "البار الصوفي والمصحف من الأندلس والمغرب أثناء القرنين الثاني الهجري" مطروحة  
دكتوراة الفنون، مطروحة خزانة المسح، الرباط ج 1 ص 88
- 57- البرودي، أبو العباس بن محمد بن سالم، "التعريف سيدي أبي عري" مخطوط الخزانة العامة،  
الرباط رقم 591 ورق 23-28
- 58- المصالح أبو العباس بن أبي بصير، "الإعلام عن حيل عمراكش وأعمال من الإعلام" تحقيق عبد  
الرحاب بن منصور، ج 8 ص 196-197
- 59- نفس المصدر والصحة

المبحث الثاني

# الجوائح الطبيعية



عددة هي الخواص الطبيعية التي صرحت معرب العصر  
بوسيط محالاً وسكناً وتحتل كوارث الجفاف، مع ما تروى  
عنه من مخاضات وحسائر بشرية الصدارة في اهتمامات  
المنهاة ومزايي المناقب على المحصور فاهتمام الفقهاء ولانعة  
بالخواص جاء نتيجة للركام الهائل من الأسئلة الموجهة إليهم من  
طرف العامة فمن المعلوم أن الخواص تنتج عنها مشاكل اقتصادية  
وجتماعية كمشكل الأرت، ومشاكل الشركات سواء في الزراعة  
وفي التجارة وفي الحرف، فضلاً عن مشاكل الطلاق والهجرة،  
وإد أيضاً في مجموع هذه المشاكل فربما لها المثرثرة عن سيدة  
أحد الأمراض المعدية كالطاعون، سعال وانشلال هيبة حضور  
المعتبر أو انقيته لتقدير الحلول الشرعية الكفيلة بتحريك المشاكل  
العالى منها

وفي هذا فإن اهتمام مصنفى كتب المناقب، بالظاهرة نفسها،  
يعود إلى أن كثيراً من الأولياء الذين برحموا لهم، عرفوا بكرمات  
ذات علاقة، لا سقاه أو إطعام الطعام أو تكثيره أو عرفو  
كذلك من وراء انفعال المستعصية كالحذائر والنصر وغيره من  
لأمراض التي كانت هاجساً مؤرقاً للإنسان المغربي الوسيط من أن

عص المنزحر لهم كتاب "تركته" و"كرامته" تفعل فعلها حتى  
بعد ثمانهم احدثنا أن الولي عبد الله بن محمد بن سعيد المحمري،  
متموفي عام 991 هـ / 1194 م، "لما وصفت حمارته نوسل له أحد  
سبته في قحط حل بهم، فسوا للتهن" <sup>(١١)</sup>

وإذا ترك حاسا الفقهاء ومولى كتب المناقب لمبحث فيه تقديمه  
في كتب الخواريات التاريخية من مادة حول الجوائح الطبيعية، فإس  
سببها غير قليل من الخيبة ذلك أن اهتمام المورخين الجوائح  
يأتي عرساً في سياق حديثهم عن المصاعب التي راحته الحكماء  
كفهم لم يهتموا سوى تدوين الجوائح الكبرى التي هزت  
المجتمعات التي أروا لها، يساً أعملوا مثيلاتها المحلية أو الإقليمية،  
من هذا فإن القيام بعرض كروبولوجي للجوائح الطبيعية التي  
ضربت معرب الموحدين بعد من الأمور "المستحيلة" في الوقت  
الزماني على الأقل، وما ورد من معلومات حول هذا الكوارث بين  
تدبير المصادر التاريخية لا يريد في أعلاه عن إشارات متفرقة لا تسمح  
بعمدية تتبع ذبا كروبي، بل الماهارة باستخلاص النسق المتحكم  
في صبرورتها وتعاقبها.

على أن ما يريد أمر تتبع كوارث الجفاف والمجاعات، وهو  
قد أمر بعض المؤرخين على إيراد العديد منها علة من التواريخ  
وبكثر هذه العاهرة خاصة في كتب المناقب والكرامات، حيث يحد  
مصغره سراً أن حديثهم عن ولي من الأولياء المنزحر لهم  
لدى الإشارة في محاضرة أو كرامة جفاف وقع في عصره ثور غديد  
سنة ٤٥٠ هـ وهكذا أصبح مألوفاً أن يصادف تعابير من نوع "صد  
حد" سببنا نحن إلى استجراح أصول السائب التي "كف في

أعوام الجماعة<sup>(2)</sup> أو<sup>(3)</sup> إن الناس كانوا محتاجين للنظر<sup>(4)</sup> أو أياً<sup>(5)</sup> .  
وقد اشتد الرماح بأهله<sup>(6)</sup> .

وتتصاف إلى هذه الصيغ صيغ أخرى من نوع "حاء رجل أبي  
أبي علي في عام مجاعة<sup>(7)</sup> . أو وحكي عنه أنه ررع فداً سب  
الحبسة، وحصد ودرسه، وكان العام شديداً<sup>(8)</sup> . وهكذا فإن  
عدم موقعة كوارث الجفاف والجماعات داخل زمان محدد،  
والإكثفاء بموقعها داخل مسار حياة الولي قد يدفع إلى الشك في  
صحتها، خاصة وأن العديد من رواة كرامات الأولياء يعتبرون من  
أفرائهم أو مريدتهم<sup>(9)</sup> .

وإذا أضفنا إلى كل ذلك أن الهدف الرئيسي الذي سعى  
بعض الرواة والمترجمين إلى تخفيفه وراء سرد هذه الجماعات  
وكوارث الجذب هو إبراز كرامات الأولياء وتدخلهم لحل هذه  
المعضلات لذلك لا ينبغي أن يكون بعض هذه الكوارث  
والجفافات العملة من التاريخ وهمياً ومختلفاً من طرف أولئك  
الرواة والمترجمين، ومهما كان فإن مثل هذه الجماعات لا تساعد  
الباحث على وضع تسلسل كرونولوجي بعيد في الخروج ببعض  
الخلاصات المساعدة على رسم خريطة للمناطق الأكثر تضرراً  
ومثباتها الأقل تضرراً

## 1- الجفاف والجماعات

قد تم محاولة موازنة استهدافنا من خلالها جمع أكبر  
عدد من الجماعات التي نزلت بمغرب القريبين السادس والسابع  
بالمهجرة، وقسمناها إلى جماعات عامة وأخرى محليّة

كما حاولنا، أيضا، جمع الجماعات غير محددة السوابح التي  
 أمكر العثور عليها داخل بعض المظان التاريخية التي  
 استقيا منها معلوماتنا وقبل قراءة هذه الجماعات، واستخلاص  
 بعض النتائج التي توحى بها، نرى من الضروري، أولا، اراد  
 الجدولين المعبرين عن السوعين معا  
 أ- جدول الجماعات محددة التاريخ

الجزء والصفحة	المصدر	معلومات محلية	مجموعات عامة	سنة الجماعة	
16	البيلان المغرب	مراكش		574 هـ	1
183	التشوف		X	575 هـ	2
204	التشوف	حاس		571 هـ	3
204/141 ج	الإعلام	حاس		571 هـ	4
298	الإعلام		X	591 هـ	5
291/7 ج	الإعلام		X	591 هـ	6
288	كتاب في تراجم الأولياء (مغ)	حاس		598 هـ	7
289	البيلان المغرب		X	607 هـ	8
267	البيلان المغرب		X	614 هـ	9
266	البيلان المغرب		X	616 هـ	10
54	الدخيرة السية		X	617 هـ	11
267	البيلان المغرب		X	617 هـ	12
262 ج 2	الاستقصا		X	617 هـ	13
41	روضة القريظان		X	619 هـ إلى 637 هـ	14
34/1 ق	حديقة الاقيباس		X	619 هـ إلى 637 هـ	15
264 ج 2	الاستقصا		X	624 هـ	16
264 ج 2	الاستقصا		X	630 هـ	17
325	البيلان المغرب	مراكش		632 هـ	18
399	البيلان المغرب		X	634 هـ	19
61	القصيدة الشريفة	الريف		635 هـ إلى 638 هـ	20
351	البيلان المغرب	سبتة		637 هـ	21
267	البيلان المغرب		X	651 هـ	22

## ب- جدول المجموعات غير محددة التاريخ

المصدر والتوثيق فيها	الجزء والصفحة
1	الشيوف
2	ج 2 / 244 / 246
3	ج 2 / 244 / 246
4	ج 2 / 244 / 246
5	ج 2 / 244 / 246
6	ج 2 / 244 / 246
7	ج 2 / 244 / 246
8	ج 2 / 244 / 246
9	ج 2 / 244 / 246
10	ج 2 / 244 / 246
11	ج 2 / 244 / 246
12	ج 2 / 244 / 246

ما هي الخلاصات التي يمكن الخروج بها من حلال قراءة الجدول؟

إلى الجدول الأول يوحى بالملاحظات والخلاصات التالية

1- إن رصدنا لكوارث الحفاف والمجموعات التي صرحت مغرب القرين 'سادس' والسابع للهجرة، اتحد من خروج عبد المؤمن بن علي في 'حركة' الطويلة الأعوام عام 534هـ نقطة انطلاق وسبابة فمر المعلوم أن هذه الحركة هي التي أسست سقوط دولة المرابطين عام 541هـ/1146م

2- إن عدد المجموعات العامة يصعب عدد المجموعات المحلية.

3- يعتبر كتاب 'البيان المغرب' لأبي عبد الله المرابطي من بين مصدري التاريخ العام التي أولت اهتماما مركزا لقصة المجموعات



سواء منها المخلصة أو العامة. وبذلك فإن هذا الكتاب يعتبر مصدراً لا عسى عنه للباحثين في قضايا الجوانح بشكل خاص وقضايا المدح بشكل عام.

4- لم نشر المصادر المعتمدة عليها إلى أبه محاعة في عهد عبد الحميد بن علي والذي امتد من عام 541 هـ / 1461 م إلى 558 هـ / 1621 م فهل يعني ذلك أن المغرب لم يعرف في عهده أية محاعة، أم أن المؤرخين اهتموا بتدوين مآثره بغير أية وإدارية فضلاً عن حروبه المتعددة من أجل توحيد سائر العرب الإسلامية، وتعاصروا عن ذكر المحاعات وسنوات الجدل اعتقاداً منهم بأنها ستسبب إلى شخصية؟

5 - بخصوص عهد يوسف ويعقوب المنصور والناصر بن المنصور، لم نشر المصادر سوى إلى محاعة واحدة في عهد يوسف وحرى في عهد يعقوب، بينما سجلت محاعتين على عهد المنصور فهذا يكون الرضاء الذي شهدته فترة حكم الخلفاء المذكورين قد تراعى مع نخس في الظروف المناخية؟

6 - عهد الناصر الذي انتهى بهزيمة العفقات المشهورة، تكثرت كوارث الحماة والمجاعات حتى لا يكاد الفرق أحياء بين محاعة وأخرى بتعدى السمة الواحدة. ففي طرف 37 سمة أمر 614 هـ / 1217 م، شهد المغرب عشر محاعات ثلاث منها فقط محبية وهكذا فإن عدد السنوات متسوماً على عدد المحاعات يردع في تقويم المغرب القرن السابع الهجري، شهد محاعة كل ثلاث

سواب فهل يمكن تصديق هذه الخلاصة؟ وهل يمكن أن يعرف  
المباح تعبراً مباحثاً تنمور نتائج السلبية مدة سبع وثلاثين سنة؟

7- لقد أشار كل من ابن أبي زرع وابن القاضي إلى جماعة  
استمرت من عام 619هـ إلى 637هـ، أي مدة سبع عشرة سنة، هل  
يمكن أن يكون ابن أبي زرع قد بالغ وهو المعروف بمبذته كلف  
تعلق الأمر بتشويه سمعة الموحدين؟ كما أن صاحب الحدود قد  
أحد عنه المحررون تذييقه ونمحيصه.

8- باعتبار أن كوارث الجفاف وما ترتب عنها من مجاعات قد  
سجلت رفعا قياسيا في القرن السابع الهجري، فهل يمكن اعتبار هذا  
لقرن قرن الهبوط في المسح الديموغرافي، والذي سينتكرس في  
منتصف القرن التالي مع حلول وباء الطاعون الأسود بالمطنة؟

9- لقد همت الجماعات المحلية التي وردت بالمتون المعتمدة عليه  
الخواصر الكبرى مثل فاس ومراكش وسهنة، بينما لم نرد سوى  
إشارة واحدة إلى إقليدس الريف، مما يوحي بأن المؤلفين اهتموا  
أكثر بمشاكل الخواصر، في حين لم يهتموا إلا نادراً بما يحدث  
في البوادي.

10- أن نرفعا عند سنة 651هـ/1253م ليس عشطيا أو  
حتى حثاريا، بل فرصته المادة التاريخية نفسها إذ لم نثر في  
المصدر التي اعتمدنا عليها على أنه جماعة بعد أسنة المذكورة  
وهو يعني ذلك أن الوضع المتأخر قد نحس، أمر أن الصراع  
العسكري بين الخليفة عمر المرتضى وأبي ديوس، وما نتج عنه من

اصطراحت سياسية واقتصادية واجتماعية أنسى المؤرخين وكتاب  
الحوادث امر الاهتمام بالأحوال المباشرة؟

ما الجدول الذي أثبتنا عليه المجموعات غير محددة التواريخ. فانه  
يوجي ملاحظة أساسية تتعلق بتنوعية المصادر التي اهتمت أكثر  
من غيرها بمراد هذه المجموعات. فبالنظر إلى الجدول، يتبين ان كتب  
المناقب والتراجم تأتي على رأس المتنون التي يجد فيها الباحث  
ضيقه فيما يتعلق بكوارث الجفاف والمجموعات الغفلة من التاريخ  
ولقد سر هذا الاهتمام سيجلي حبيسا نعلم ان الصين معاً  
يهتم بالسير الذاتية لعنوم الشخصيات التي ساهمت في صنع  
أحداث عصرها

وما دام ان المجموعات كانت تعتبر من الكوارث الكبرى خلال  
العصر اوسيط، فإن تأثير تلك الشخصيات بها أو تدخلها لحلها احاطة  
الأولياء مثلاً كان يبرز على المنحصر الإشارة إلى ذلك التأثير  
أوذاك التدخل. وفي مثل هذه الحالات فإن التاريخ لم يكن مهما  
لأن المجموعات تعتبر في ذهن مصيبي النوعين المذكورين حالات  
عارضة. ولا يخفى أيضاً أن بعض الأولياء اشتهر بكرامة الاستسقاء  
وطعام اطعام وهو لهذا السبب بالذات قادر على التقليد من  
الاثار الوحشية لكل مجاعة يحدث إبان حياته داخل المحلات التي  
يتحرك فيها فما الفائدة والحالة هذه، من الإشارة إلى تاريخ معد؟

ولابد أيضاً من الإشارة إلى سبب آخر وهو أن كثيراً من كتب  
المنحصر والكرامات لم يجابوا الشخصيات التي كتبوا سيرها

دنية : لمعلومات التي ترونها حولها إنما استعورها من روافد  
خلف ذكركم ببعض الأحداث وضمها تواريخ محدد  
والكوثر الطبيعية

وحلقة البول، ان كوارث الجفاف والمجاعات تكررت مع  
لموحد، بعد هزيمة "العقاب"، وهو أمر يدعو إلى المرء من النعم  
والتمكيد، ويعتقد انه النسبة للمجاعات صفة خاصة من مرافق  
لحصر لوسيط ربما وقعوا في خطأ الخلط بين ذات المست الطبيعي  
وبين مثيلاته الناحية عن الحروب والفن السياسية

## 2- الطواعين

اعتبرت الأوبئة والأمراض المستعصية من بين الجوائح التي  
هددت الأساس المغربي الوسيط، كما كان لها تأثير واضح على  
الهبة الديموقراطية، والتألي على القاعدة الإنتاجية والمستوى  
المعيشي لسكان ومما زاد من نتائجها السلبية عدم تطور  
الطب بالشكل الذي يتيح محاربة هذه الأوبئة أو على الأقل  
التقليل من حدتها.

وقد سبق أن استعرضنا حين دراستنا لمنحيد المغاربة حول  
الجوائح الطبيعية موقف مختلف الشرائح الاجتماعية من عامة وفتاء  
وأطباء وأولياء منها وأما عن "الحجة" عن فهم الأسباب التي  
تنتج عنها مثل هذه الأوبئة، اضطرت إلى إرجاعها إلى غضب الله<sup>(9)</sup>  
أولى "استيلاء طبيعة رحل الأولى السوداء التي تظهر على  
سطح المدن"<sup>(9)</sup>.

ومهد كرس بين "الطاعون الوثائقي"<sup>(10)</sup>، أو "المرض الأوائل"<sup>(11)</sup> كما  
 كان سمو أيضاً خلق نوعاً من الالهة الجماعي في أوساط سكان  
 ظهر ذلك بوضوح في الأدبيات المنتهية للمرحلة فقد سجد أبو  
 العباس أحمد بن الفباب<sup>(12)</sup> "عن حكم الناس ومن الوفاء إذا أكثر  
 الموت هذه أحكامهم كحكمهم على عميرة" ويبدو أن محسب  
 الدين عراقيه المتبرية عن ولاء الطاعون قد دعت ببعض الكثرة  
 إلى وضع نصائيف جديدة، قيل أن بكنت ابن هيدر "مقالته"  
 بحواشي قريب على الأقل<sup>(13)</sup> ففي عصر الموحدين قام أبو عبد الله  
 محمد بن يوسف بن عمر بن عمر بن المردي بكتابة مقالة يشرح فيها  
 حديث الشريف "إذا برز الوباء بأرض قوم الحديث"<sup>(14)</sup>

وإذا كانت أساليب انتقال هذا الوباء من منطقة إلى أخرى قد  
 كانت مجهولة لمدة ليست بالقصيرة، فإن الفقيه أحمد بن مبارك  
 النمطي<sup>(15)</sup> تنظر إلى أن التبادل التجاري يعتبر من العوامل  
 الرئيسية في انتشار عدوى هذا المرض وفي الواقع، فإن أحمد بن  
 مبارك النمطي كان محققاً حينما جعل الحركة التجارية حركة نافذة  
 للعدوى ذلك أن الدراسات الأوروبية الحديثة التي اهتمت بدراسة  
 الطاعون الأسود الذي أكنسح أوروبا عام 1348 م توصت هي  
 الأخرى إلى نفس النتيجة<sup>(16)</sup> وهكذا، فإذا كانت التجارة نافذة  
 سحرية - لمدينة والأفكار والخصومات الحصارية، فإنها تعد كذلك  
 نافذة للمرض والموت.

وكانت الحركة التجارية تعرف ركوداً قاتلاً وقت ظهور ولاء  
 طاعون ذلك أن أهالي المناطق عبر الموبوءة كانوا يجمعون أهالي

المناطق المتروكة من الدخول إلى بلادهم خوفاً من قتلهم العدوى إلى هذه المناطق. وقد حوت العادة عند ظهور هذا الوباء أن يعذر الأشخاص الأصحاء بشكل فردى أو جماعى البلد الذى طهره خوفاً من العدوى الأمر الذى كان يؤثر على النوارى السكينة من جهة، وعلى مردودية القطاعات الإنتاجية من جهة ثانية<sup>(17)</sup>

وبطراً لكثرة الصحايا الذين كانت تحلقهم الطواعين، بالإضافة إلى ما كان ينتج عنها من هلع جماعى، فإن الناس كثيراً ما اعتنقوا كل وباء يحلف عدداً كبيراً من القتل طاعونا ويبدو أن هذا الخط قد استمر فى الكتابات المغربية إلى حدود نهاية القرن التاسع عشر على الأقل<sup>(18)</sup>. بل إن أحد الباحثين المحدثين<sup>(19)</sup> أشار إلى أن بعض الدارسين المعاصرين أنفسهم وقعوا فى هذا الخط والاضطراب.

ومهما كان، فإن أمر طاعون حل بالمغرب الأقصى خلال عصر الموحدين هو طاعون 571هـ/1175م. ذلك أن كثيراً من المصادر أشارت إليه وإلى خطورة النتائج الديمغرافية المترتبة عنه ومما يمكن تسجيله حول الروايات النبى تطرقت إليه انتفاها على طاعنه الجمهورى، أى بمر - حسب هذه الروايات - سوى اعصمة مراكش وأحوازها<sup>(20)</sup>

غير أن ما يدفع إلى الشك فى الطاعن الجمهورى للطاعون المذكور إشارة عدد من تلك المصادر إلى وفاة الشيخ الموحدي أبى حمص عمرو الهنتاى، جد الملوك الحمصيين، متأثراً بهذا الطاعون وهو عند من الأندلس فهل يعنى ذلك أن العدوى أصابته بالأندلس؟ إذا

كبر الأمر كذلك، فإن هذا يعني أن الأندلس بطورها لم تسلم  
من هذا الواء، أمر أن "المرض الوائل" أصابه بعد دخوله مجال  
المعرب الأقصى وقد أوبعد وصوله إلى مدينة سلا؟

إن الأمر في كلتا الحالتين يفند روايات المؤرخين الذين ركزوا  
على الطاع الجسدي لطاعون 571 هـ / 1175 م وحين  
يعتقد، كما اعتقد غيراً<sup>(21)</sup>، أن هذا الواء تعدى حدود مراکش،  
بل وحدود المعرب الأقصى برمته لبشكل بلدان الغرب الإسلامي  
بأكبرها ومما يشع في تنبي هذا الرأي سهولة الاتصالات بين هذه  
البلدان سواء من الناحية التجارية، أو من الناحية الثقافية، فضلاً  
عن ذلك، فإن الرعب الذي شرب هذا الواء بين ساكنة مراکش  
أدى بالعديد من سكانها إلى معادرتها في محاولة منهم للهجرة  
إليهم، وهو ما أشار إليه ابن عذارى المراكشي<sup>(22)</sup> حين صرح بأن  
"كدر من خرج منها فأراً بعنه مات في الطريق"

ويبدو أن هذا الطاعون استمر أكثر من عام، بذلك وحده  
ستطيع تفسير اختلاف المؤرخين حول سنة حلوله، فقد تنبى  
لبعض<sup>(23)</sup> تاريخ 571 هـ / 1175 م، وببعض تنبى البعض الثاني<sup>(24)</sup>

572 هـ / 1176 م ومن خلال رصد نتائج الديموغرافية ينسب أنها  
كبت كارثية فإن عذارى<sup>(25)</sup>، يشير إلى أن كثرة التقلبات حالت  
دون جمعهم إلى المسجد الجامع للصلاة عليهم، الأمر الذي حدا  
بالخليفة أبي يعقوب يوسف إلى إصدار تعليماته بأن "يصلو عليهم  
في مسر المساجد وفقاً بالناس في ذلك" ورعر الإمكانيات الطبية  
والوقائية المنوطة للخليفة وأفراد عائلته، فإن عدداً من هؤلاء لم ينج

من الإصاصة بهذا الطاعون، ذلك أنه احتفظ أربعة من أحوه الحبيبة  
هم أبو عمران، أبو سعيد، أبو عبد الله وأبو بكر، ثم أرسل الحبيبة  
سنة كان أن ينضاف إلى الصحابة<sup>(26)</sup>.

ثم على مستوى القاعدة، فإن الحسائر كانت فارحة على ما يبدو  
حينئذ على ما ذهب إليه أن بعض المؤرخين<sup>(27)</sup> أشار إلى أن عدد  
القتلى بلغ "مئتين في اليوم الواحد ألف وسبع مائة" وفي  
تقديره، فإن هذا الرقم يطوي على مائة وأربعة وأصحة ذلك،  
ستمائة الطاعون لمدة سنة ومثل هذه الحسائر البشرية اليومية  
بمرور يتحارب ساكنة مئتين في اليوم الواحد ألف وسبع مائة وهو أمر حد  
مستبعد باساسة مدينة معربة في العصر الوسيط حتى وإن كانت  
تتمتع عاصمة دولة كبرى كالولاية الموحدين.

ولا يسع الباحث أن يترك عبارات أخرى أكثر استعصاءً  
ومراعاة للمعطيات البشرية للعصر الوسيط سوى نبذة أخرى لدى  
قدمه كثر من أس عذارى<sup>(28)</sup> وصاحب الحلال الموشية<sup>(29)</sup> فهما  
يحصر الحسائر اليومية بين مائة ومائة وتسعين شخصاً ونقص  
الخيمي وحده كان يشهد سقوط ما يقارب الثلاثين شخصاً من  
خدمته في درجة أنه أصبح شبه فارغ<sup>(30)</sup>.

ومن بين كبار الشخصيات التي قضى عليها هذا الطاعون نذكر  
القاضي، يوسف حجاج بن يوسف<sup>(31)</sup>، والكاتب أبا الحكم إبراهيم  
بن علي بن هرون<sup>(32)</sup>، ومشرق غرناطة أبا عمران بن قحاح<sup>(33)</sup>  
وحسب الأسماء أنفسهم رعمنا عرف عن عصره من رء  
لعلهم لم يسلطوا من هذا الوباء فبعض الروايات<sup>(34)</sup> تذكر أن



معرب كان من بين صحابائه والمجتمعة في طاعون 571 هـ كان به  
 أثر كبير على الأكره الجمعية المعربية، إذ هو في نظر بعض  
 "لم يعهد سله فيما تقدم من الأزمنة"<sup>(35)</sup> كما أن العصر الآخر  
 سحر أن تأثيره النسبة لمع خدأ "كان الناس يموتون فيه من  
 غير مرض"<sup>(36)</sup> بل إنهم كانوا يعلمون أن الموت كان ينزى بهم  
 في كد عضة حتى "كان الرجل لا يخرج من منزله حتى يكتف  
 سبه وسبه وموضعه وأمله"<sup>(37)</sup>

وبالعقد، في المغرب إلى حدود الطاعون الأسود لعام 1348 م  
 الذي من أغلب جهات العالم الوسيط، لم يشهد كرتة من هذا  
 وباء لظهور معرب الأقصى خلال سنة 610 هـ/ 1213 م بصح  
 "أدحيرة سنية"<sup>(38)</sup>، يذكر أن هذا الوباء ضرب المغرب واندلس  
 وهو نفس الرأي الذي بداع عنه الناصري<sup>(39)</sup>، حيث يرى أن خسائر  
 معركة العقدة، ضد نصارى الاندلس في السنة المذكورة، اصادفت إلى  
 خسائر هذا "الوباء" العظيمة الذي تخيف الناس إلا قليلاً "لتخلق الحو  
 الملامر لنشور المريبين من أخذ اكتساح شرق المغرب"<sup>(40)</sup> ومع  
 ذلك فإن الحصار الناحمة عن وباء 571-572 هـ لا يمكن مفارقتها،  
 بل بلانها أنه حمة عن طاعون 610 هـ/ 1213 م بدليل سكوت أغلب  
 مصادر عن إيراد أخبار تتعلق بهذا الوباء الأخير

### 3- الأمراض المستعصية والأمراض الواسعة الانتشار

من يمكن أنطاعون هو وحدة المرض المؤرق للسان المعربى  
 الوسيط، فقد كانت هناك أمراض أخرى كانت تقتل عدد لا يستهان  
 به من لأرواح البشرية ويصعب أنواع معينة من المصادر ككـ

الطب والاعضية والتوازن والمناقب، يستطع الدارس الوقوف على  
الأمراض الأكثر انتشاراً بعد الطاعون.

وتتفق المصنفات المذكورة على أن مرض الجدامري من  
حيث الخطورة بعد الطاعون، وهو وإن لم يكن يقتل نفس السرعة  
التي كان يقتل بها الطاعون، فإن النتائج الاجتماعية والعسسية  
المتربنة عنه تجعله مرضاً حبيثاً بامتياز. والراجح أن يكون الطبيب  
أبو زهر<sup>(41)</sup> مجرد معبر عن رأي عامة الناس في هذا المرض حبيثاً  
عنه "بأعلة الكبرى". ومن مساوئه أن لجر المريض يبدأ في  
التساقط عند استنحاله كما حدث للولي أبو يعقوب يوسف بن  
علي الميملي الذي "سقط بعض جسده"<sup>(42)</sup> دون أن يبالى بالألم  
المتربن عن ذلك<sup>(43)</sup>

وكانت الدولة تلجأ إلى جمع المصابين بهذه العلة في "حارات"  
عرفت بـ "حارات الجملى" تبني خارج المدين، ففي مدينة فاس كانت  
حارثهم تقع خارج باب الحوكة "ليكون سكانهم تحت مجرى الريح  
العربية فتحمل الرياح أبخرتهم، ولا يصل أهل البلد منها شيء،  
وليكون تصرفهم من المياه وغسلهم بعد خروجه من البلد"<sup>(44)</sup> أما  
بمراكش، فإن مثل هذه الحارة وجدت شرقي المدينة<sup>(45)</sup> ويحتمل أيضاً  
أن يكون يعقوب المنصور الموحدي قد شيد حارثتين مماثلتين لكل  
من سلا وفص ابن عبد الكريم<sup>(46)</sup> (الفص الكبير)

ومهما كان، فإن هذا المرض كان منتشرأ على نطاق واسع  
وهو هذا الانتشار خلق مشاكل اجتماعية وعسسية للمصابين به  
والأفراد المحيطين بهم. الأمر الذي دفع بالبعض إلى مساءلة الفناء

عن حكم الشرع الإسلامي في محالطة المجدومين<sup>(47)</sup>. اعتماداً على هذا السور وأسنلة أخرى مشابهة له وردت ضمن كتب الوارل، نصح . المجدوم كان شحصاً مرفوضاً اجتماعياً، مما كان يضطره إلى العيش في عزلة تامة إلى حين وفاته.

ويبدو أن العامة كانت تستعمل أوقات الاضطرابات والفن مع ما يصاحب ذلك من غياب للسلطة المركزية للانتقام من المجدومين وطردهم بعيداً عن التجمعات البشرية. يستشف ذلك من خلال رواية ابن أبي ررع<sup>(48)</sup> النبي بشير فيها إلى انتقال جدمى فاس أبمر الجماعة والسننة الممتدة من سنة 619هـ - 1222م إلى 637هـ - 1239م للسكنى بالكهوف الواقعة خارج باب الخوخة ومع ذلك.

بدر الانصاف يفتض بالقول إن جدمى المغرب على عهد الموحدين حظوا بعناية خاصة من طرف الدولة، عكس أقرانهم بأوروبا اوسبطة، ذلك أن وجود هؤلاء أثار ردود فعل جماعية بلغت إلى حد التنك بهر جماعياً كما حدث في فرنسا عام 1321م<sup>(49)</sup>.

وللراجع من خلال رواية ابن أبي زرع المذكورة أن الأمراء المرينيين الأوائل لم يولوا عناية كسيرة للمصابين بهذه العلة. فمعتوب بن عبد الحق، بعد أن اشتكى إليه سكان مدينة فاس من قيام المجدومين بعسل ثيابهم وأوانيهم وأوساحهم في نهر المدينة "امر رحمة الله تعالى عامله على المدينة وهو الشح إدريس بن أبي قريش أن ينقلهم من هناك ليعملوا على ماء النهر فينقلهم إلى برج الكوكب الذي بحارج باب الجيسة من أبواب عدوة القرويين، وذلك في سنة ثمان وخمسين وستمائة"<sup>(50)</sup>

وهذا يصدر الحدث عن الأوبئة والأمراض التي كانت تحدث  
 سكر المعرب الرسيط، يورد حلولاً بأهم الأمراض الأكثر  
 انتشاراً عند عثماني الطاعون والجذام  
 وصف إلى حلول بأهم الأمراض الأكثر انتشاراً عند عثماني  
 الطاعون والجذام

نوع المرض	المؤلف	الجزء والصفحة	ملاحظات
العلاج	بازيد وسليمان بن الميسير	47/393	
الأكل	رسائل ابن رشد الطبية	393	
نصر	رسائل ابن رشد / كتاب الميسير	116/393	
مصدق الرحم	رسائل ابن رشد الطبية	393	
الرباح وزيادة في بدر الأسفل	رسائل ابن رشد الطبية	393	
رجاء المرسج	رسائل ابن رشد الطبية	393	
أوجاع المعدة	رسائل ابن رشد / كتاب الميسير	48/393	
مراض الكبد	كتاب الميسير	41	
سفات لاهمي والاقارب	كتاب تدبير	41	
مروج بردية	كتاب الميسير	39	
الأسنان	عيون الأنباء - الطبعة / كتاب الميسير	ج 3 ص 107/41	اصيب به عبد حميد
السن	كتاب الميسير	47	
لاورام	كتاب الميسير	■	
مخرج	كتاب الميسير	53-52-49	
مراض الأذن	كتاب الميسير	72	
مراض العينين	كتاب الميسير	82	
داء مكلي (سعال)	كتاب الأعيان / رسائل ابن رشد	79-105	
امراض السمع	عيون الأنباء / رسائل ابن رشد	ج 3 ص 110/79	
نوموس	كتاب الميسير	129	اصيب به كركر حاصد

## ١٠٩. من جندول بأشهر الأطباء خلال عصر الموحدين

الاسم الطبي	المصدر	الجزء و الصفحة
بو الوليد بن رشيد	عيون الأنباء	ج ١ ص 122-127
بو جحاح يوسف بن هوراطير	عيون الأنباء	ج 3 ص 127
بو عبد الله بن يربيد		ج 3 ص 128
بو سحاق بن إبراهيم الداني	..	ج 3 ص 128
أو يحيى بن قاسم الإشبيلي		ج 3 ص 128
و بحكم بن عليم		ج 3 ص 128
أبو جعفر أحمد بن حسان	..	ج 3 ص 129
بو محمد الشاذلي		ج 3 ص 129
أبو جعفر بن المزال		ج 3 ص 131
أم عمرو بنت أبي مروان بن زهر	اندول والتكلمة	ص 8 ص 139
بو مروان عبد الملك بن زهر	عيون الأنباء	ج 3 ص 147

والجدير بالذكر أن أغلب هؤلاء الأطباء خدموا المنصور ولد صر اشياء الذي يؤكد أن الطب عرف فترة زمنية خلال حكم هذين الخلفين كما نحب الإشارة إلى أن ممارسة الطب لم تعد حكراً على الرجال بل أن المرأة بدورها اقتنحت هذا الميدان وبعد السمعة التي تمتعت بها الطيبة أمر عمرو بنت أبي مروان بن زهر تشهد على أن المرأة بإمكانها الوصول إلى القمة في ميادين كانت حكراً على الرجال

وقد انتول فإن التدوية الموحدية حاولت جهد الإمكان الدخول لمدن العيون لرعاياها كلها تعرضوا لاحدى كواكب الصبغة وإن كانت حمودها قد انصب على الميدان، نصبي فلا

الأمراض والأوسمة مثلثت خطراً دائماً يهدد ساكنة المغرب خلال  
العصر الوسيط، في الوقت الذي كانت فيه بعبء الكوارث طرقة،  
فصلاً عن صعوبة التنويع بحدوثها

وإذا كان البعض<sup>(٩٢)</sup> يعتقد أن داء "الزهري" أو "داء الإبريق"  
كان منتشراً، وأن عدم ذكره يعود إلى أن الأمراض الجنسية  
عائلاً ما ينع التستر عليها، فإن هذا الرأي تصعب البرهنة عليه خاصة  
وأما لا تتوفر على نصوص صريحة تثبت انتشار هذه الأمراض خلال  
العصر الوسيط، غير أن تعدد العلاقات الجنسية للرجل والمرأة لابد  
وأن تكون من وراء عدد من الأمراض الجنسية التي لم يتوصل  
الأطباء إلى تشخيصها خلال تلك الحقبة

والراجح أن تعرف المغاربة على الأمراض الجنسية يعود إلى  
نهاية العصر الوسيط بعد أن كثرت وجود الأجانب من يهود وصرى  
بالمغرب، ف "الوزان"<sup>(٩٣)</sup> الذي طاف بأرجاء المغرب الأقصى خلال  
القرن السادس عشر، أشار إلى أن هذه الأمراض كانت منتشرة على  
نطاق واسع بين سكان السهول دون سكان الجبال وكان داء  
الإبريق (الزهري) على رأس قائمة الأمراض الجنسية المعروفة  
بالمغرب بعد القرن الخامس عشر، ويرجع الوردان ومن ظهور هذا  
إنداء بالمغرب إلى سنة 1492 م حين طرد الدون فرديناند ملك  
اسبانيا اليهود من بلاده نحو المغرب، فكان أن ربط بعض المؤرخين  
علاقات جنسية مع النساء اليهوديات والأمراض الجنسية للرجال  
للسهري مع النساء المغربيات، الشيء الذي أدى إلى ظهور هذه  
لأمراض وانتشارها شيئاً فشيئاً

#### 4- السيول والفيضانات

انضمت إلى الطاعون والجذام والأمراض المستعصية مجموعة من الحوايج الطبيعية الأخرى التي خلقت بدورها خسائر مادية بشرية لجعل الإنسان المغربي يشعر بحرج واضح أمام سطوة الطبيعة وتقلباتها ومن الكوارث التي ركزت عليها المصادر التاريخية عدد الطواعين والأمراض المستعصية، تكرر السيول الجارفة والفيضانات الناجمة عن ارتفاع كميات الأمطار المتهاطلة

ويرداد الأمر سوءا حينما تترامن مثل هذه الفيضانات والسيول مع إحدى الفتن أو اضطراب اجتماعي، نجد مصداقا لهذه الفكرة فيما أشار إليه البيهقي الصنهاجي<sup>(54)</sup> من تزامن صراع الثوار الموحدين ضد الجيش المرابطي برعاية ناشقين بن علي عام 536هـ/1141م شمال المغرب مع فيضانات مهولة دامت حمير

يوم ويبدو أن الخسائر الناجمة عنها كانت هامة، "فقد حملت اللوديان، وأكل وادي سيومات السلسلة، وفتفت جزيرة مليلية، وأكل البحر طنجة حتى إلى الجامع، وأكل وادي سبو مع وادي ورغة أحبية لمطة"<sup>(55)</sup>

كما نحدثت بعض المصادر<sup>(56)</sup> عن السيل العظيم الذي ضرب مدينة فاس عام 626هـ/1228م، الشيء الذي أدى إلى إهدام سورها الشرقي وسموط ثلاث بلاطات من جامع الأندلس، بالإضافة إلى اتيانه على عدة دور سكنية بعمدة الأندلسيين وهناك فيضانات أخرى ورد ذكرها في كتب المصنف والتراجم عملة من تنواريح<sup>(57)</sup> تتحدث كلها عن الآثار المدمرة للسيول على المصعدين الإقتصادي والاجتماعي

## 5- كوارث مختلفة

حدثت المصادر كذلك عن عدد من الكوارث، لم يعرفها  
المعرب الموحدي، حتى وإن كانت لم تزلها نفس الأهمية التي وثقها  
سحروب واطواخير، وثقة الأمراض التي أصابا على ذكره سنة ومع  
ذلك من استكمان المطر عن واقع الإنسان المعربي خلال القرنين  
السادس والسابع للهجرة، يحتمر علينا الإشارة إلى بعضها

من بين هذه الكوارث الحرائق والتي غالباً ما تكون من ورائها  
أسباب سياسية أو شخصية أو تمتع أحياناً عن اللامبالاة والسهو  
وبعد أهر حريق حدث خلال عصر الموحدين، يذكر حريق عمر  
607 هـ / 1210 م<sup>(58)</sup>، الذي شب في سارية مراكنش، وإذا علم صعد  
وساس الاطباء خلال العصر الوسيط، أدركنا ولاشك، أن الحريق  
كانت تحلف أضراراً اقتصادية واجتماعية ونفسية.

ومن جانب آخر، فإن العامة كانت تستعمل مثل هذا الطرف  
مدرسة أعمال السرقة والنهب فاس عداري<sup>(59)</sup> يذكر أنه ابن هذا  
الحريق " فنحنمت البارسة العوغاء وصروب العرباء، فسبوا بعض  
ما ألقوه ثم سلب من الحريق، ونسللوا به على كل طريق، كما ذكر  
أيضاً أن حسان التجار المحليين والعابرين كانت كبيرة، فقد " ذهب  
للمنحار الثواردين والفاصيل والدائين من الأموال الحسنة  
ما لا يحصى وافترق فيها أمة من نوى اليسار، وأصبحوا تنكفون  
باس حناري على الأقطار"<sup>(60)</sup>.

كما عرف مدينة فاس عام 646 هـ / 1248 م حريقاً مشابهاً  
سحريق الذي عرفته فيسارية العاصمة مراكنش، وحسب المصادر



نتج انوار اليه<sup>(61)</sup>، فان نتائجها كانت كاشفة على اقتصاد اممية  
 فقد "استقرت أسواق فارس من قطرة الصاعدين قرب باب سلسلة  
 حروف سور السطاطين والعمادين والسمطيين وأصبحت أسير  
 ووصلت إلى اب الحيات من جامع القرويين<sup>(62)</sup>"

كما أخذ المصادر بإشارات تهم كوارث أخرى كجحومات أخرى  
 عسى امريغ والثمار<sup>(63)</sup> والرازل<sup>(64)</sup> وظاهرني الكسوف<sup>(65)</sup>  
 والحسوف<sup>(66)</sup> وهي كلها ظواهر خطبت باهتمام الاسان لمعربي  
 الوسيط إما بسبب نتائجها الاقتصادية والإجتماعية الوحيمة وم  
 مجرد عدم فهم أسبابها

## 6 - النتائج الاقتصادية والاجتماعية للجوائح

فقد التفرق لموقف دولة المرحدين من الجوائح والكوارث  
 انطبعية، يرى من الضروري الوقوف، أولاً عند النتائج الاقتصادية  
 والاجتماعية المترتبة عن هذه الجوائح، لأن هذا الوقوف هو وحده  
 الذي سيؤهلنا لمعرفة مجمل التدابير التي اتخذتها الدولة، وكذا  
 على حدود تدخلها.

ومن الأمور التي تتكرر في المصادر التاريخية إن كان حدث  
 عن المجاعات الإشارة إلى ارتفاع الأسعار، وخاصة مع انهيار المواد  
 الغذائية، ويشتد هذا الارتفاع، عادة، عن فترة هذه المواد في  
 الأسواق، بسبب شلل الحياة الاقتصادية، وخاصة النشاط الزراعي.  
 علو به يسعى أن يصب إلى العوامل الطبيعية التي تكون وراء  
 صعب وقفة مسوح الأرض عاملاً آخر من صعب الإرادة البشرية،  
 ويعني به احتكار المواد الغذائية وعلى رأسها القمح والشعير

فقد كان الخوف من الجوع أو التنبؤ بحدوث سنة عصفاء من وراء دفع بعض الملاحين إلى تخريب إنتاجهم لمواجهة الطوارئ. فضلاً عن ذلك، فإن التجار يقومون باحتكار هاتين المادتين مما كان يؤدي بالضرورة إلى ارتفاع أسعارهما، وبذلك يحقق هؤلاء المحتكرون أرباحاً طائلة من وراء هذه العملية.

ويندمر اس عذارى<sup>(67)</sup> مثلاً واصحاً عن مثل هذا الاحتكار المبني على التنبؤ والخمين حين أشار إلى فرار الحليفة عبد الواحد الرشيد بالحروح في حملة صد عرب الخلط خلال مجاعة 632هـ/1234م، أدى إلى ظهور الحطة بمدينة مراكش كميات كبيرة. وسبب ظهورها يعود إلى أن المحتكرين توسعوا في الرشيد إمكينة تلك الحصار على المدينة، فعملوا على إخراجها إلى السوق. وقد "كان عندهم منها ما تنمشى به أحوال الناس مدة طويلة، لكن حب النفس منعهم من إخراجها والتسك به".

على أن تعاليم الشرع تعد واضحة في هذا الصدد فهي تمنع لاحتكار المضر بالناس، سيما تجيز للإنسان ادخار قوته وقوت عياله وباستثناء أوقات المحن والنجاعات، فإن الاحتكار يعد مشروعاً بل يندرج قول أحد الفقهاء<sup>(68)</sup>، "فأما من جلب طعاماً، فإن شاء بعه وإن شاء احتكر إلا أن يراد فادحة وأمر ضروري للمسلمين، فيجب على من كان عمله ذلك أن يبيعه بسعر وقته فإن لم يره عدل أحمر على ذلك إحياء للهمم وإبقاء للرؤس. وأما إن كان اشتراه من الأسواق واحتكر وأضر بالناس، فيشترك فيه الناس بالسعر الذي اشتراه به" وطبيعة الحال، فإن القمح والشعير كإتا مادتين أساسيتين في

سعدية الإنسان المغربي خلال العصر الوسيط، والنص الذي يصيب  
 انتاحها يردى عادة، إلى مصاعب اجتماعية واقتصادية، بل وتؤدي  
 أحدها إلى مجاعات مهولة وقد حق للمؤرخ فرنان بروديل<sup>(69)</sup> أن  
 يعتبر الفصح صاحب التول الفصل في تاريخ بلدان حوض البحر  
 الأبيض المتوسط فخصائه يؤثر على المقراء أكثر مما يؤثر على  
 لاعبيه، ذلك أن للأغبياء محروهم الخاص. كما حق له أيضاً أن  
 يعتبر السؤال عن "الصابة" العاسر المشترك بين حكماء دول  
 حوض البحر الأبيض المتوسط، بحكم عودته المتكررة في  
 مراسلاتهم الرسمية منذ مطلع السنة إلى نهايتها<sup>(70)</sup>

وتقدم بعض المصادر أمثلة عن ارتفاع أسعار مادي الشعب  
 والفصح في مجاعة عام 536هـ/1141م يذكر البيهقي أن ثمن  
 "شعير ببع في ذلك الوقت ثلاثة دنانير للسطل"<sup>(71)</sup> في حين "بلغ  
 فصح الفصح ثمانين ديناراً" إبان إحدى المجاعات التي ضربت المغرب  
 خلال فترة حكم الحليفة عبد الواحد الرشيد<sup>(72)</sup>

والظاهر من خلال بعض النصوص<sup>(73)</sup> أن المدن الكبرى كانت  
 تعلق بوابها ببلا حتى لا يتسلل إليها سكان أحوارها الفارين من  
 وطاة المجاعة وقد حلت مثل هذه الهجرة مشاكل لا حصر لها، لعل  
 أهمها مشكل الإرث، ذلك أن أبا عمران الفاسي المسبب المالكي  
 المعروف<sup>(74)</sup> سئل عن حكم الشرع في من خرج مهاجراً لطلب  
 مجاعة أو مثله الداهي نحو بلاد الطاعون هل ينظر دونه ظهوره  
 أو يعتبره في عداد الأموات؟ فأجاب قائلاً: "من خرج إلى بلاد  
 الطاعون أو خرج في زمانه، فبرته ورشته يوم خروجه"

كما كان شائعاً أيضاً أن تنز النساء من الموادي إلى الخواصر تحت  
 ضغط الجماعة، فتدعين أنهن أرامل وأن عذتهن انتقصت طلباً للزواج  
<sup>(75)</sup> وما دام أن أحكام الشرع واضحة في هذا الصدد إذ لا يصدر إلا  
 سيرة، فإن عذرت عن الاتيان بما جئ من دون زواج، الأمر الذي يفوت  
 عليهن هذه الفرصة، مما يعرض أكثرهن للتشرد أو التسول، إن لم يردن  
 إلى سقوطهن في أحطال الرذيلة وتعاطي البغاء.

وينصح من خلال نصيح كتب المناقب والنزحمة عن  
 المخصوص أن عدداً من الأولياء المستعيرين إلى الشريعة المشرفة  
 تدخلوا للحد من العواقب الباحمة عن الجماعات فهذا الولي عبد  
 الرحمن بن عائش المعروف بابن العجوز يقوم بتحبس فدان زرع  
 الواقع بباب الحبيسة - أحد أبواب مدينة فاس - على مساكين <sup>(76)</sup>  
 وهذا أبو كريباً يحيى بن عبد الرحمن التادلي ينصرف بمونة  
 غرفتير من التمح على المساكين خلال الجماعة التي صرحت بمدينة  
 فاس عام 571 هـ / 1175 م، حتى أنه لم يترك لأنه الصرير ما يسد به  
 لرمق <sup>(77)</sup> وهذا ولي ثالث بقدمر على توزيع عدة أحمار من التمح  
 على المساكين خلال جماعة كذلك <sup>(78)</sup>. وهناك أمثلة عديدة قد  
 يطور سردتها وردت ضمن الصيغ المتولدة بها <sup>(79)</sup> تشيد كلها  
 بحضور الأولياء الفاعل إلى جانب الفئات المستصعبة خلال سنوات  
 تقط والجماعة

وكات صلوات الإسمسقاء تقدم العراء النفسي بلحبيد  
 والمنصررين، وتوفر للسلطة عاملاً إضافياً من الوقت لاسطار حود

السماء ويبدو أن الحلفاء الموحدين شجعوا الناس على المشاركة  
 المكتمة في مثل هذه الصلوات إلى درجة سماهم بـ"يهود  
 والنصارى بالمساهمة فيها إلى جانب المسلمين" (80) كما يبدو من  
 خلال بعض الروايات الموثوق بأصحابها (81) أن تقنية خرب المحاصيل  
 الرابعة في المطامير شرع في العمل به إبان عصر الموحدين  
 "لذات وتشير رواية أخرى إلى إمكان مكوث الزرع داخل هذه  
 المطامير ما بين الستين والسبعين سنة" (82).

ومهما كان، فإن صراوة الجوع والصراع من أجل البقاء دفعا  
 بالناس إلى انتهاك أساليب جديدة في التعذيب. حيث مجددهم في  
 المناطق التي يكثر فيها الجراد "بسنعملونه طيحاً وقلياً" (83) على  
 الرغم من خطورته على الصحة حسب الأطباء العنزة إذ "يحرق  
 الدم ويعتب أفات كثيرة" (84). كما أكلوا أيضا أصول وعروق  
 لبساتين (85) وثمرات شجرة الجب (86).

ودون تحديث عن إقدام الملاحين على دبح دوابهم أيام  
 المجاعات، مما كان يعرض الثروة الحيوانية للإبادة، فإن ما يمكن  
 الإشارة إليه هو أن بعض الروايات ذهبت إلى حد القول بإقدام  
 الإنسان على أكل لحم أخيه الميت (87) وفي المدن الساحلية التي  
 تزداد السس النصارية "كان بعض الناس يسلمون أنفسهم  
 للنصارى ليشتبعوا عندهم الطعام" (88). وبالمرارة مع ذلك كثرت  
 أعمال النهب والسرقة حتى أن ممتلكات الأولياء أنفسهم لم  
 تسر من السطو عليها من طرف بعض عناصر العامة (89).

كما شاع، أيضاً لجوء الفلاحين الصغار إلى اقتراض كميات معلومة من القمح والشعير من العلاحين الكبار على أن يردوا ما اقتترضوه إما عينا أو نقداً عند تحسین الأحوال. وفي هذا الصدد ظهر فقهاء وعلماء متخصصون في كتابة صكوك اسلف وصكوك الإبراء عند الرد<sup>(90)</sup> ومن نافلة القول التأكيد على أن اقتح كد عملة نادرة في مثل هذه الحالات، بل إن الدولة نفسها لحات، أحيانا إلى تأدية أجور موطعيها بواسطة القمح<sup>(91)</sup> والراجح أن يكون عدد مهم من الوقيات قد نتج عن تعبر عادات الناس العدائية إبان فترة الهجاعات كتناولهم للأعشاب المصرة

## 7- تدخل الدولة للحد من وقع الجوائح على رعاياها

إذ، كن الإسلام يعترف للدولة بعدد من الحقوق على رعاياها، فإنه في المقابل يلزم الدولة بتقدير عدد من الخدمات مقابل تلك الحقوق، وإذا كانت الدولة الوسيطية تجعل مسألة الدفاع عن رعاياها صد أي عدوان كيمما كان مصدره على رأس أولوياتها، فإن هذه الخدمة لم تكن وحدها كافية للاعتراف شرعيتها ذلك أن العدوان قد لا يكون مصدره الإنسان، وحده، فقد لاحظنا كيف أن "عدوانية" الطبيعة وما ينتج عنها من حصار بشرية ومادية كانت سكر هاجساً موزقاً للإنسان المعربي الوسيط

لقد شكلت الكوارث الطبيعية تهديداً حقيقياً للسلطة بالإضافة إلى الاضطرابات المصاحبة، عادة، لها من سرقات ونهب واعتداء على حو الملكة، فإنها نصع السلطة في راجهه الأحداث حين يسطر

أساس تدخلها للتفليل من هول وقعها والتخفيف من نتائجها. فقامت دولة الموحدين بالأدوار الموضوعة بها عند حلول كارثة ما؟

محصول الجفاف والفيضانات والحرائق، قليلة هي النصوص التي تشير إلى تدخل دولة الموحدين للتخفيف من هول وقعها وتبسيطها الاقتصادية والاجتماعية. على أنه ينبغي الاعتراف بأن الجلاء والأمراء الموحدين اهتموا على عرار رعاباهم بالجفاف وتمسوا رواه يظهر ذلك بجلاء في ديوان الأمير أبي الربيع سليمان الموحدي الذي ظهر ببنبر<sup>(92)</sup>، يصف فيها إحدى كوارث الجفاف التي حلت بالمشرب ومن يعقوب المنصور

ومما تجدر الإشارة إليه أن الدولة كانت، عادة، ما تنقذ مجموعة من الرسوم الجبائية العيسية من مداخيل الملاحين ونجار المواد الغذائية لتقوم بحزبها قصد التصرف فيها عند الحاجة، والراجح أن تكون دولة الموحدين هي أول دولة في العرب الإسلامية تقوم بهذا الإجراء. وليس من الصدفة في شيء أن يطلق على الدولة لفظ "المحزر"<sup>(93)</sup> بدءاً من هذه الفترة بالذات. ليستمر بعد ذلك في تداول إلى وقتنا هذا.

وهكذا، فإن الضرائب العيسية كانت تعمي البلاط السطحي، ويحضر من شراء بعض المواد الغذائية وعلى رأسها القمح وأشعبير. بل إن الدولة عندما تتوفر لديها فائض كبير منها تقوم ببيعها في الأسواق<sup>(94)</sup> غير أنه في حالة كوارث الجفاف فإنها تقدر على توزيع محتويات مخازنها مجاناً على المستضعفين والحياء. وهي بهذا العمل

نعم بدورين مرططين من جهة نحف من يوس السكب ومن جهة أخرى تحول دون قيام اضطرابات قد تهدد مشروعه وحدوده وعن حصار المخزن الموحدلي إلى جانب الفئات المنصورة من الكوارب الطبيعية، بدم الخليفة يوسف المستنصر، 610هـ - 1213/620هـ - 1223هـ ما عودحاً حياً عن هذا الحصار فبعد محاكمة 616هـ / 1219هـ وما نتج عنها من بكرة في المواد الغذائية وارتفاع في الأسعار، أعطى أمراً "بفتح المحارر المعدة لاحتران اطعمه فمنحت للعامة وكرت عليهم فذكر أنها كانت شمر للأقوياء وبغير شمر للصعفاء"<sup>(94)</sup> ولم يكتف المحرر الموحدلي بهذا الإجراء وحده بل أقدم أيضاً على فتح بيت المال وتوزيع مساعدات مالية على المحتاجين وكانت نتيجة هذا التدبير المردوح أن "نحست أحوال الناس"<sup>(95)</sup>

وبدور يقتصر دور المحرر الموحدلي على التدخل لصالح الشرائح المستضعفة إن فترات الجفاف وحدها بل إنا نعرض على مثال بوضوح حضوره ساعل لإيجاد الحلول الملائمة للمشاكل المترتبة عن كوارث الحرائق فقد سبق أن أشارنا إلى أن عهد الخليفة أبي محمد ناصر شهد حريقاً مهولاً أتى على مجمل صنائع وودائع قيسارية مراكش وكذا تدخل الدولة في هذه المرة أيضاً حاسماً وسبق مدى شعاعها بالترابا التي نصيب رعاياها ذلك أن الخليفة ناصر عمل على إعادة بناء هذه القيسارية، فاسترجعت ساطها السابق<sup>(97)</sup> ولم يبق ناصر عند هذا الحد بل إنه أطلق المحرر سبيل في



كل احياء المدينة والنرى القريبة من مراكزها للبحث عن  
 متورطين في أعمال النهب والسرقة أثناء اندلاع الثيران. وعن هذا  
 الاحراء بقول المؤرخ ابن عديري<sup>(98)</sup> "وأمر الناصر بالبحث عن  
 واحد شيء مذكر عليه من أمتعة التجار. وعثر عليه بالبحر  
 والاحتياط فلقط من أخلاط الناصر قوم قلائد ومن من منعق  
 بالبلاد فتموا عن اخرهم. وبقي البحث عن سائرهم" وهكذا در  
 هذين المثالين بقدما الحجة على المحصور العلبي للبحر الحكومي  
 موحدي ابي حبيب الرعابا المنصرين من الكوارث الطبيعية وهو  
 حضور ماهر، ولا شك. في تدعيم وترسيخ مشروعية الحكم

وإذا كما قد أشرا إلى ندرة النصوص التي توصلت إلى المدونة  
 ابن الكوارث الطبيعية من حرائق وحصانات وسور ولازم  
 ومخاضات، فإن هذه المدونة لا تنطبق على تدعيم في الميدان  
 علاجي والاستثنائي ذلك أنها عثر على وحدة من النصوص التي  
 تشيد كلها باهتمام دولة الموحدين بتوفير العلاجات الضرورية  
 بمرضى وبحث عن الأدوية المناسبة للأمراض الواسعة الانتشار وقد  
 مع انطب على عهد الموحدين درجة من التطور كان معها الاطباء  
 بحربور الأدوية في الحيوانات والطيور قبل إعطائها لمرضى. الشيء  
 من بمرعر وجود مخبرات و"معامل" لصناعة الأدوية واللقاح

يستشف ذلك من خلال رواية أبي العباس أحمد النيشاني في  
 كتبه ارها لافكار في حواهر الأحبار<sup>(99)</sup> التي يذهب فيها إلى  
 بعموم المصور في حصوات السرايق على مختلف ممثلي احياء

مدينة مرآة لتوزيعها على السكان إلا أنه أوصاهم قبل  
 يسلموها للمرضى بأجراء تجارب عليها لتحديد الحقيقة من الرأفة منها  
 فكان أن حربوها في مجموعة من التديكة الملسوعة من طرف  
 العذار والافاعي وبهذا الوسيلة تمكنوا من عزل الحقيقة من  
 الرقة فكان من بين 280 حصاة التي سلمها لهم الخلية 60 حصاة  
 حقبية و220 رامة.

وهكذا فلما لا عالى إذا قلنا بأن حرفة الطب وصناعة الادوية  
 قد بلغت الذروة على عهد الموحدين فبالإضافة الى المثال لدى  
 أورده التيفاشي بإمكان الباحث العثور على شهادات "محايدة" لم  
 تصدر عن مؤلفين مغاربة أو أندلسيين قد تشبههم بالتعصب والتحيز  
 للدولة القائمة بل هي صادرة عن مؤلفين مشارقة ومسيحيين  
 بخصوص شهادة المشارقة بورد شهادة المؤرخ الحافظ الذهبي في  
 حق الطبيب الأندلسي المغربي: أبي بكر بن عبد الله بن زهر  
 طبيب الخليفة الموحد يعقوب المنصور المتوفى عام 695هـ  
 1198م - وهي بمناسبة من سنة وفاة المنصور - الذي وصفه بأنه  
 "شيخ الطب وحاليموس العصر"<sup>(100)</sup> أما بخصوص شهادة  
 المسيحيين، فنكتفي الإشارة إلى شهادة عربيوريوس المنطلي  
 المعروف - ابن العبري المتوفى عام 685هـ/1286م في حق  
 طبيب أبي الحكم المغربي/الأندلسي وما حقه من شهرة في كل  
 من العراق وسوريا<sup>(101)</sup>

وبعد ما قمرد لبللا على اهتمام دولة الموحدين بقطاع  
 لاستيعاب أقدام الخلية المنصور على تشييد ماسه<sup>(102)</sup>

عصير بعلاج المرضى والمجانين<sup>(103)</sup> وقد حظي هذا المارستان  
 بهندسة مؤلفي المرحلة الوسيطة، كما حظي باهتمام الدارسين  
 المحدثين عرباً وأحباب وبالعودة إلى كتاب المعجب في تلخيص  
 أخبار العرب لعبد الواحد المراكشي<sup>(104)</sup>، نجد وصفاً دقيقاً لهذا  
 المارستان بدءاً من موقعه، مروراً ببنائه الداخلي وانتهاء بما يحتوي  
 عليه من فرائش وأثاث ومن الالات للانتباه في وصف المراكشي أن  
 المارستان المذكور بالإضافة إلى كونه مستشفى، كان أيضاً مختبراً  
 لصناعة الأدوية والمعالجيين والأشربة التي يحتاجها المرضى وكانت  
 الإقامة فيه مجانية، حيث كانت الدولة تتكفل بدواء المرضى  
 وتعدبتهم ولباسهم والأكث من هذا كله، فإن المرضى الفقراء  
 كانوا يمسحون عند معادتهم المستشفى مبلغاً من المال يستعملون  
 به على مواجهة أعماء الحياة إلى حين انتهاء فترة النقاهة،  
 واستعدتهم لصحتهم بالكامل، وبما يلي وصف هذا المارستان كما  
 ورد عند عبد الواحد المراكشي

وهي بمدينة مراکش بمارستانها ما أطل أن في الدنيا مثله وذلك  
 أنه تحير ساحة مسبحة بأعدل موضع في البلد، وأمر البنائين يأتونه  
 على أحسن الوجوه، فأغفوا فيه من النفوش البلدية وأرخاريف  
 المحكمات راد على الاقتراح وأمر أن يخرس فيه، مع ذلك من جميع  
 لا شجار أمشعومات وألماكولات وأخرى فيه مياه كثيرة تدور على  
 جميع أنبيوت، وبأرض على أربع برك في وسطه، أحداها رحار أبيص  
 ثم أمر من لمرش المعيسة أنواع الصوف والكتان والخزير والأدبر  
 وعسرة به بريد عن الوصف وبأني فوق النعت وأخرى له ثلاثين

مباشراً في كل يوم يرسر الطعام وما يتفق عليه خاصة خارج عما  
 حسب إليه من الأدوية وأقام فيه الصيالة لعمل الأشرة ولا رها  
 والا كحال. وأعد فيه للمرضى شاة ليل ونهار للثوم من حمار لصيف  
 والشتاء فإذا تفرغ المريض فإن كان فعمراً أمر له عند جروحه بمال  
 يعيش به رثماً يستقل، وإن كان عساً دفع له إليه مائة وبرك وسبحة  
 ولم يقصره على الفقراء دون الأغنياء، بل كل من مرض عمراً كثر  
 من عريب حمل إليه وعولج إلى أن يستريح أو يموت وكان في كل  
 جمعة بعد صلواته يركب ويدخله، يعود المرضى ويسأل عن أهل  
 بيت، أهل بيت، يقول كيف حالكم؟ وكيف القومة عليكم؟ إلى  
 غير ذلك من السؤال، ثم يحرح لم يرل مستمراً على هذا إلى أن  
 مات رحمه الله

وهكذا، فإن هذا المارستان أو "دار المرح" كما أسماه صاحب  
 كتاب الاستبصار<sup>(105)</sup> بموقعه ومحتوياته، ونظام عمله، هو الذي دفع  
 المؤرخ الفرنسي روبي ميلي (R. MILLER)<sup>(106)</sup> إلى عقد مقارنة بينه  
 وبين مستشفيات أوروبا الوسطية، فلاحظ أن هناك فرقاً شاسعاً بين  
 مستشفيات المغرب الموحدية وبين مثيلاتها بأوروبا المسيحية خلال  
 العصر الوسيط، بل تعدى ذلك إلى التصريح بأن مارستان المنصور  
 نموذج حتى على مستشفيات باريس عند بداية القرن العشرين.

ولم يكن مارستان مراکش هو المارستان الوحيد الذي سنده  
 المنصور، بل شيد أيضاً مارستانين آخرين بكل من صلا وقصر من  
 عهد التكرير<sup>(107)</sup> وبالإضافة إلى سياسة بناء المارستانات

والمستشفيات التي اشتهر بها المنصور، فإنه اشتهر أيضاً، ساء حرات  
لاقمه المحدثين، وكان شبيهاً بقر في الغالب حرج أسود  
المدر، بعداً عن التحصينات السكنية، تلافاً لانتشار العدوى كما  
كانت الدولة هي المتكلفة بالإعانة على هؤلاء المرضى<sup>(108)</sup>

ولم ننس الدولة الأخطال الأتاهم الذين يعانون من وضع  
قنصادي واجتماعي صعب فيعقب المنصور على سبيل  
أمثـلـ "كان كلما دخلت السدة يأمر أن يكتب له الأتاهم  
منقطعون، فيجمعون إلى موضع قريب من قصره، فيحشون، ويأمر  
لقد صبي مهر بمشال وثوب ورعيف ورمانة وربما زاد على  
المشال درهمين جليدين<sup>(109)</sup>

وبالمثل، فإن دولة الموحدين أولت اهتماماً واضحاً للمشتغلين  
بالنطع الاستشفائي، وخاصة المشتغلين بمهر بالطب الشعبي  
ولا يحى أن الممارسة الطبية لم تكن مقتصرة خلال المرحلة  
المدرسة على الأطباء المشهود لهم بالكفاءة والخبرة بل إن أفراداً  
عديدين من الشرايع الدنيا للمجتمع، اتخذوا من هذه المهنة مصدراً  
لإستمرارهم وفصلاً عن ذلك، فإن العديد من أولياء المرحلة اتخذوا  
من إراء العلل المستعصية كرامات تفرهم عن غيبه أقرانهم من  
جهة، وتترى به إلى قلوب العامة من جهة أخرى

ويقدم أحمد بابا التومبوكتي<sup>(110)</sup> مثالا للصراع والتنافس  
بين أسعرا بين الأولياء والأطباء في مجال الطب والمداواة  
فالأطباء كانوا يسكرون على الأولياء تدخلهم في هذا

سبحا سعى الأولياء إلى إبراز قدراتهم "المبارقة" على معاملة  
 الأمراض المستعصية. أبو علي بن الغوث، مثلاً "أوتي له نصيب من  
 المر الحصى.. جعل يده على صدره وقلبه وحرك شفتيه وراح  
 فيه ثلاثاً، وقبض بعنف وقوة على دبر الصبي، وتجمع وقذف حمس  
 حصيات قدر الحمص محصورة بالدم وسكن ألمه حبسداً<sup>(118)</sup>.  
 وهذا أبو يعرى الذي كان باستطاعته "إبراء النجاين والمرضى،  
 وشفاء ذوي العاهات"<sup>(112)</sup>

والظاهر من خلال النصوص أن الصراع بين الأولياء والأطباء  
 كان ينتهي في غالب الأحيان لصالح الأولياء<sup>(113)</sup> شفيعنا فيما  
 نذهب إليه أن سمعهم تجاوزت نطاق الشرائع الدينية لتصل إلى  
 الشرائع العليا من المجتمع الموحد. من ذلك مثلاً، أن أبو يعرى  
 "قصد إليه بعض أعيان الوقت، وقد جر حوتا صعباً، وكان يصرع  
 كثيراً، فصرعه بما كان يصرع به غيره"<sup>(114)</sup> على أن احترام مهنة  
 انطب سر يكرى مفصلاً على الرعايا المسلمين دون غيرهم.  
 فالنصوص تشير إلى اشتغال بعض العناصر اليهودية والبشرانية  
 بأمور الطب والعلاج<sup>(115)</sup>. الأمر الذي يوضح مدى الحرية التي  
 تمتعت بها الأقليات خلال عصر الموحدين

وبالعودة إلى كتاب "تسمية الحكام على ما حد الأحكام"  
 لـ محمد بن عيسى بن المناصف المتوفى عام 620 هـ/223 م،  
 سنطبع أن تبيين وصعية الطب خلال عصر الموحدين مع تحديد  
 أهدافه، لمشتغلين به. كما سنكشف في الآن ذاته مختلف أشكال

تدخل الدولة لتنظيم هذا القطاع ورجح المنلاعين بـصحة الناس<sup>(116)</sup>  
وقد تراوحت العقوبات التي ينزلها قضاة الدولة على منحلي الطب من  
مشعورين ودخالين ما بين الضرب بالسياط والسجن والدية<sup>(117)</sup>

ومن خلال النصوص الطبية يتضح أن السعير الدغ عن  
"السومر البتنة والحسواسه وعص الهوام ونهشها ولدعها"<sup>(118)</sup>  
شكل افة حقيقية بالنسبة للطب الريسط ذلك أن النجارب العديدة  
التي قمر بها الأطباء استهدفت إيجاد "ترياق" نافع لإيقاد حياة  
اناس الذين يتعرضون لعصات كلاب مسعورة، ولدغث الأفاعي  
والعقارب، وعبرها من الزواجب السامة.

فالطبيب أبو مروان بن أبي العلاء بن زهر، طبيب الحبيبة عبد  
الموس بن علي ألف، "الترياق السبعيني، واختصرة عشاري  
واختصرة سباعيا، ويعرف بترياق الأنتلة"<sup>(119)</sup> ونفس اللاحس استمر  
خلال فترة حكم بعنوب المصور، الذي أمر الفيلسوف والطبيب  
بن رشد الحفيد أن يثبت "له على طريق السرهان الطبي ما قاله  
الأطباء في المراضع التي يستعمل فيها الترياق وما صنوه من  
أفعاله"<sup>(120)</sup>

وكانت أنواع الترياق المستعملة في علاج حالات السموم  
أشد كلفة هي مسحوق السرطانات التنهية إذا "امكن سحقها أو  
سحق أكثرها معت من عصة الكلب"<sup>(121)</sup>

ثم معجون فريبيون<sup>(122)</sup> والمثروديطوس<sup>(123)</sup> وترياق الدروق  
المتحد من سموم الأفاعي الإناث<sup>(124)</sup> دون أن نسي يصر،

المررد<sup>(125)</sup> والطبيب المختوم<sup>(126)</sup>، ودهن اللسان<sup>(127)</sup>، وحجر  
اساره<sup>(128)</sup> والظاهر أن أحد أنواع الترياق وهو الذي أسماه ابن أبي  
صمعة بالترياق الكبير<sup>(129)</sup> كان الخمر يدخل ضمن مركبته، مما  
صرح مشكلاً حقيقياً أمام تصنيفه، لأن الدولة من السحابة  
الطاهرية على الأقل قد حرمت تحريماً مطلقاً كل أنواع الخمر<sup>(130)</sup>.

ومن المظاهر الأخرى لتقدم الطب خلال فترة حكم يعقوب  
المنصور بالخصوص، وحوود "صيدلية" خاصة بالخليفة عرفت "بخرانة  
الاشربة" كان يشرف عليها الطبيب أبو يحيى بن قاسم  
الإشبيلي<sup>(131)</sup> الذي ظل يشغل هذا المنصب إلى حين وفاته أيام  
الخليفة يوسف المستنصر، ليخوض ولده في هذه المهمة<sup>(132)</sup>. ولم  
تقتصر ممارسة الطب على الرجال دون النساء، فحدثنا رواد ابن  
عبد الملك<sup>(133)</sup> عن أم عمرو بنت مروان بن زهر أخت الطبيب  
أبي بكر بن زهر، ذلك أنها "كانت متقدمة في الطب، ماهرة في  
التدبير والعلاج وحظيت بذلك عند أمراء بني عبد المؤمن، فكانت  
تدج قصورهم، وتطير في علاج مرضى ساهم وأطفالهم وأماهم  
وقد تسننني في الطب لرحالهم، فتريد مكانة إلى مكانتها التي  
يشقى معها المونل وشرقها الموصول"

وإبراج أن هذا التقدم الذي شهده الطب خلال عصر  
الموحدين قد تراخى خلال الحقب اللاحقة من تاريخ المغرب، وخاصة  
خلال القرن السادس عشر بفعل التعلل المرتعالي وحلقته لأوضاع  
مضطربة من النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية ذلك علو



ما نذهب إليه تلك الشهادة التي أدلى بها المحسن الوراء<sup>124</sup> عند  
 زيارته لإقبر حاحا، فهو لم يصادف به "أي طبيب من أي صنف، ولا  
 أي حراح، ولا عناقيري وبكاد جميع الأدوية والعلاجات تكور  
 بالكبي بأسار كما تعالج الحيوانات، ويوجد حفا بعض الحلافير الذين  
 تقتصر عمليتهم الحراحية على حثار الأطفال، ولا يستعمل انصابون  
 في هذه اسلاد ويستعمل الرماد مكانه".

يستنتج من خلال الحصاد النهائي للمصوص التي أمكر لعثور  
 عليها، حول الأوبئة والجذاعات والكوارث الطبيعية عموما ودور  
 الدولة في التخليف من وقعها على رعاياها أن مؤرخي العصر  
 بوسيط لم يولوا اهتماما ذا بال لمثل هذه القضايا التي نهر أغلب  
 لشراح الاحتمائية وحتى المصوص التي أوردها صن مصنفاتهم،  
 إنما جاءت عرساً في سياق الحديث عن علاقة الخلفاء والسلاطين  
 بتلك الأوبئة والكوارث.

وهذا الأمر لا يدعو، مع ذلك، للعرابة، فالمنخصص في تاريخ  
 المرحلة، يعرف أكثر من غيره، أن عقلية المؤرخ ليست، في  
 التحليل لأحبر سوى متاح لمجوع الظروف الاقتصادية والاجتماعية  
 والسياسية والثقافية، أولئك تتعبير أكثر حداثة إنها تعبیر عن  
 "سنة يمي" العصر وهذا "الإستيمعي" كما يحعد استارح  
 "الجميعي" في نظر أغلب مؤرخي تلك المرحلة هو ذاك الذي عبر  
 عن مشاعر الحكام والسلالات الحاكمة.

وقصد الخروج متصور عام عن هذه القضايا، ولم تخاور  
 أحوليات السياسية التقليدية نحو أضاف مصدرية أخرى، وردت بها  
 صوص على غاية من الأهمية تهم الجواب المشار إليها وهكذا  
 فإن كتب النوارل وكتب الطب والمقالات الطبية وكتب الإحصاء،  
 فضلا عن كتب المناقب وكتب التراجم، وكتب الحسية والدع،  
 ماكانها ملء البياضات المتعددة التي تعاني منها كتب  
 الة ربح التقليدية

## هوامش

- ١- "السيرة النبوية" كفاية للمحتاج لمعرفة من ليس في التاريخ دراسة وتحديق محمد طه رسله وديوانه  
 الدراسات العليا، مكتبة خزانة كفاية، الرباط ١٩٨٤-١٩٩٠
- ٢- ابن الزيات المرحوم بوسد الخديوي "الشوق إلى جلال التصوف وأخبار أبي العباس السبيعي" بحمد أحمد  
 التوفيق، الرباط ١٩٨٤ ص 263
- ٣- التصوف يستلزم أبي يعرب- ورقة 38.
- ٤- الأرموزة أحمد بن عبد العزير "مدخل للتأخرين والنسب العائليين" مخطوط حرثه العامة الرباط ١٩٩٠  
 ص 73
- ٥- ابن المؤيد أحمد التتحي المراكشي "العلاء الأبلية من التصوف بمشاهير المصنف المراكشي" ط ١،  
 الدار البيضاء، دار خريج، ص 18-19
- ٦- ابن الساعي أحمد المكناسي "مدخل للتأخرين من دكر من الأعلام بمدينة فاس تحقيق عبد  
 الوهاب بن منصور، الرباط 1974، قسم الثاني، ص 392
- ٧- يوسف الحسني "الكراة والزمر كرم لولاء: كالة خلال عصره المراكشي والمحدثين لودجنا" مجلة  
 دراسات عربية جلد 4/3- يناير/فبراير 1996 ص 75
- ٨- كتب الإحصاء ص 146
- ٩- مقال في الأثر في التوفيق ص 1

## 1 of 4 pages

- 1 - عن المصادر والمصنفين  
2 - مجموعته من المخطوطات: مجموعته على أسئلة دينية "مخطوطات الخزانة العامة" رقم 684 د 20  
3 - يوم من شهر الثور الثاني بمجموعته من سنة 810 هـ "نظر جفوة لأقرب" د 2 ع 475  
4 - حيدر الأحمدي د 222، وكذلك "مخطوطات الخزانة العامة" رقم 475  
5 - الفيلسوف أحمد بن ثابت بن "مخطوطات الخزانة العامة" رقم 854  
6 - عن المصادر والمصنفين

16-duhy (G) "L'Europe au moyen âge" Paranacon, 1984, p. 192

voir aussi CHAUM (p) O. exposition Européenne du XIIème au XVe siècle Nouvelle  
clio, P.L.F 2ème E.D. 1983, P. 104-105.

- 7 - العبداني، مراجعة عفيفا، سورة دولة الموحدين "ليبيا 1981" ص 129
- 18 - حورل الجماعات والأوعية ص 104
- 9 - أب الطاعون حسب: الأبحاث الطبية المعاصرة عبارة عن حقن مخصص إلى نوعين النوع الأول، المعروف بالدين، الذي يسبب بخصف الممدد السنوية، والنوع الثاني، وهو الخطر بفسير ظهور لانتفاخ رجلي وتصلب الشرايين، وأثر بحيث درر منه في ظل حركته الموحدة من الأناضول، انظر، لوريمو، الفيلد، "الطب الإسبراني والجمهورية المحلية" ترجمة مصطفى إبراهيم، سلسلة عالم المعرفة، عشت 1998 ص 217
- 20 - من الأندلس عبد الله محمد، "لحمه القادر" أحاديث، وعلي عليه الدكتور أحسن عباس، بيروت 1986
- ص 72 وكذا: مجبول "دولة بن النارية" مخطوط، الخزنة العامة للرباط، رقم 773، ص 102، وأيضاً، الناصري، البراق، ص "أحد" الاستقصاء أخبار دول المغرب الأقصى، "تحسين وعلي جعفر الناصري، ومحمد الناصري، الدار البيضاء، ج 2، ص 191، وكذا: مجبول "كتاب الحلق الموحية في الأخبار المراكشية" تحسين سيدي ركار، ومحمد القادر، الدار البيضاء، 1979 ص 198، وكذا: "البيان للمغرب" ص 136-137
- 21 - سورة دولة الموحدين، ص 124
- 22 - النجاشي، المغرب، ص 136
- 23 - ص 36، حلق توشية، ص 151، كتاب المتواريخ، ص 15، الاستقصاء ج 2، ص 191، ردات في التاريخ، ورقة 102
- 24 - الأكتاف، محمد بن حمزة، "سيرة" الأندلس، وسجلت الأكتاف في القبر من العلماء والصلحاء بمدينة "داس" طبعه حمزة درر، مكاد، لا تاريخ، نص، ج 1، ص 174، عنه القادر، ص 72
- 25 - البيان، المغرب، ص 169
- 26 - ص 169، الحلق الموحية، ص 151، كتاب التواريخ، ص 15
- 27 - وردت في التاريخ، ورقة 102
- 28 - البيان، المغرب، ص 167

2- دغلال مرشيد. ص 158

٩- محمد بن عبد الله. ص 77

٣- سيرة دولة الموحدين. ص 23

12- سيرة الأنبياء ج 1 ص 174

33- أخبار المغرب. ص 136

34- سيرة محمد بن عبد الله بن عبد الوهاب. "مخطوطات المخطوطات". ص 1252

35- نفس المصدر والصحة

36- سيرة "الدولة السنية" عبد الوهاب بن منصور. الرياض 1972 ص 49

37- الاستيعاب ج 3 ص 4

38- الدخيرة السنية ص 49

39- الاستيعاب ج 3 ص 4

40- نفس ص 4

4- ابن رجب. ابن رجب. "السيرة النبوية" محمد بن عبد الله بن عبد الوهاب. الرياض

199 ص 178

42- التكملة. ص 3، 2

43- نفس المصدر والصحة

44- ابن رجب. ابن رجب. "السيرة النبوية" محمد بن عبد الوهاب. الرياض 1973 ص

40- 4

45- التكملة. ص 112

46-Michaux-Bellière et saumon (L). "ELQues ELkcher une ville de province au

Maroc septentrional" A M VOL II Fascic 1905 p 21

47- جواب ابن رجب. الطاهر. ص 89

48- رد ابن رجب. ص 41

49- حوزة المعارف والفتاوى ص 105

50- رد ابن رجب. ص 41، ج 1 ص 34

51- ابن رجب. ابن رجب. "السيرة النبوية" محمد بن عبد الوهاب. الرياض 1973 ص

1987

52- حوزة المعارف والفتاوى ص 105

53- الرد. ابن رجب. "السيرة النبوية" محمد بن عبد الوهاب. الرياض 1980 ج 1 ص 84

54- التكملة. ابن رجب. "السيرة النبوية" محمد بن عبد الوهاب. الرياض 1971 ص 52

55- حوزة المعارف والفتاوى ص 99



78- شهاب الزواحي، ص 304-305

79- الانصارى لير عبد الله حيدرة "التجرب النخب فيما لا رياء الله من خاتمة النخب" مطبوع الخزانة العامة الرباط  
رصد 1910 ص 229 وكذلك معقول "كتاب في تراجم الاولياء" مطبوع الخزانة العامة الرباط رصد  
1271 ص 268 ولقد نشرت في 333

80- الاعلام ج 1 ص 271

81- البيان المغرب ص 351

82- الانصارى لمحمد بن التاسيرة "اختصار الاخبار عما كثر من سنة من سني الاغيار" تحقيق عبد الوهاب بن  
منصور، الرباط ط 2 1983 ص 351

83- كتاب الاعلي ص 29

84- فقه ص 30

85- الشرب ص 263

86- مجاز من جنس النسر ومن فرع شجرة اثنين وثلاثة ثمراته اوراق شجر النور وسرته سنة سر، سحره النور  
الاناب اكبر منها من حيث المحجر وعطر الناس الى اكله انه اغرار الجماعة لانه يعطي القلة ثلاث مرات في  
السنة وليس سره اجبر حب ولا ير مثلاً للناس نظر

الغساني ابر التاسير حيدرة "حديثه الارغار في ماهية النعسب والمعار" عمين محمد العربي الخطابي بيروت 1985  
ص 80-81

87- ابن التاسير ابر اع-سرة "الكامل في التاريخ" دار صادر- دار بيروت 1966 ج 10 ص 584 وكذلك  
التشالي احمد بن ابراهيم "حمة المغرب بلاد المغرب" تحقيق فرناندو دي لا جويانجا مدريد 974 ص 85  
ولما الاستغنا ج 2 ص 264

88- البادسي لعبد الله "المختصر التبريد والمختار الطيعة في التصريف بصلاح الربيع" عمين محمد العربي الخطابي  
1982 ص 61

89- بهجة المنظر ص 73

90- مجمره من عبد سراكسي "التعبد الابي في علم الرمان" مطبوع الخزانة العامة الرباط، رصد 49 ج 1  
ورق 26-27

91- امراگسي لعبد الله "الهدى والفتنة نكتات الموصوف والصلح" ص 8 و 1 و 2 عمين ومحمد بن التاسير  
محمد بن سريده الرباط 1984 ص 173-174 الاعلام ج 9 ص 86

92- بمرى ابو الريح سليمان الموحدي

بسط نحره اليه كفاً يحيى صوب عرشك النجاة

فاست القيد يا سجداً فاما في احتياج اليه في احتياج

نظر ابو الريح الامير الموحدين سليمان "خبر الامير في الرح" تحقيق محمد بن شمس العجوي واحمر  
نقود ص 65 تاريخ ص 65

93- اخبار ممدية ص 38

- 94- بر سنكر اذويجره "تاريخ افرقيعه في عهد المنصور من و13 لى مله تـ15" ثله قر العريه حمادي السحي  
ر العرب الاسلامي بيروت 1988 ص 71
- 96- "جبال المغرب" ص 267
- 97- جمن المصغر والمصحح
- 97- حـ، ص 258
- 98- نفس المصدر والمصحح
- 99- تلا ص
- Fehut (H). "Le Maghreb aux XIeme et XIIeme siècles: Les siècles de la foi"  
ED Wallada, casablanca.p. 37-38.
- 100- الذهبي المحفوظ "المغرب في غير من غير" بحسب الدكتور صلاح الدين الكوب 1963 ج 4 ص 288
- 101- بلخي عمر بن موسى "تاريخ مصر القبول" طبع دوع حرانيه الاب اطوان صالحني اسوشي بيروت  
لبنان 1958 ص 211
- 102- المدارس لحرف تلكلمة الفارسيه "مدر- بن" امر كيم من كلمين "مسار" وبحسب امير ص ار سجيل ار  
مصابه وثنائي "يعني مكان الدوله هو الان دار المرضي لفتره  
= بن احمد عيسى "تاريخ الهمبرستانك في الاسلام" بيروت ط 1981 ص 4
- 103- الاستقصا ج 2 ص 198
- 104- المصعب ص 411-412 وكذلك الحيري في عهد الفتح "أقرص للمطار في غير الاقطار" خليل احسا  
عبار بيروت 1975 ص 941
- 105- بيجولي "كتاب الاستبحار في عجائب الاسفار نشر وعملين الدكتور سعد زطون عبد الحميد الدار البيضاء  
1985 ص 210
- 106- Miller(R) "Les Almohades. histoire d'une dynastie berbère" Paris 1923 P 30
- 107- Deverdun (G). "Marrakech des origines à 1912" Rabat 1959.P 247
- 108- الكاوي محمد العبدلي "الطب وطائره المعاصره مراكش" مطبعه العربيه السنه الخامس 936 هـ ص 14
- 109- المصعب ص 411
- 110- كتاب الحاج ص 142
- 111- تليه ص 142
- 112- العربي ابراهيم "دعاه البين في رعايه المحتق" بحسب نسبه الترمذي دارما 1989 ص 45-46
- 113- كتاب الحاج ص 142
- 114- دعاه البين ص 40
- 115- الدلف والنكتة ص 2 ص 419 الاعلان ج 10 ص 168
- 116- بن ناصر احمد بن عيسى "نبيه الحكام على ملوك الحكماء" أعده لك ر عـ المصنف مسور  
ص 358-359

- 17۔ حسنہ ۱۹۴
- 18۔ حدیث الارواح، ص 70
- 119۔ عبود الایمان، ج 3 ص 107
- 120۔ ابن ربیع الطیب، ابو الولید محمد بن یوسف، "تحفہ جبر" مطبوعہ موصی سعید، اندلس، 1987 ص 389
- 121۔ کتاب الاعدیۃ، ص 105
- 122۔ ص 9۰
- 123۔ ص 94
- 124۔ ص 105
- 125۔ من المصادر والمصنفه
- 126۔ من المصادر والمصنفه
- 127۔ من المصادر والمصنفه
- 128۔ من حصر بونی، من خراسان وبنہ الموالی والمغنی، المصنف والمصدر، مطبوعہ موصی سعید، اندلس، 1989 ص 70-69
- 129۔ عبود الایمان، ص 130
- 130۔ من المصادر والمصنفه
- 131۔ من المصادر والمصنفه
- 132۔ ابن ربیع الطیب، "تحفہ جبر" مطبوعہ موصی سعید، اندلس، 1989 ص 92
- 133۔ ابن ربیع الطیب، "تحفہ جبر" مطبوعہ موصی سعید، اندلس، 1989 ص 98



المبحث الثالث

# الكوارث غير الطبيعية الحروب نموذجاً



لقد سبق أن سجلنا اختلاف المفهاء حول اعتبار الأضرار الناجمة عن الحروب جوارحا ويعتقد أن موقف أولئك الذين لم يعترفوا للحرب بصفة الجائحة موقف تعوزه الدقة وبعد النظر، فضلا عن انسابه بالتصور عن مسطرة التطور الذي عرفته الحرب خلال الأعصر اللاحقة لقيام الدولة الإسلامية ذلك أن المتصفح للحواليات التاريخية الوسيطية سيف نكل تأكيد على النتائج الكارثية التي كانت للحروب على البشيين الديمغرافية والاقتصادية. ولعل ما يدفعنا إلى اعتبار الحرب على رأس الجوارح هو ديمومتها وشساعة المناطق المنصرفة من نتائجها، فإذا كانت الكوارث الطبيعية تزول بعد مدة تطول أو تقصر، فإن الحرب كانت دائمة سواء في الداخل لقمع المتمردين والمتمرين، أو في الخارج لرد الخطر الصربي المتهرب بالأندلس والشواطئ المغربية. وبالإضافة إلى ذلك فإن المصادر التاريخية وكذا الدراسات الحديثة تجمع على أهمية الحرب في تاريخ دول العصر الوسيط والحرب أصبحت ظاهرة مستشرية ودائمة<sup>(1)</sup> وسبب ما كانت تدره من أرباح، فإنها ارتقت إلى مستوى صناعة أو حرفة يستغرق فيها

أعداد هائلة من السكان ولا أدل على أهميتها من كون بعض الكتاب<sup>(2)</sup> وضعوا تصانيف للتمييز بين الحرب المشروعة وقرينتها غير المشروعة وقد عرف العصر الموحدى ازدهار هذا النوع من التأليف فإس المناصب الذى عاش خلال هذا العصر اثنان 620هـ / 1223م ألصق كتاباً أسماه "الإجماع فى أحكام الجهاد"<sup>(3)</sup>، بين فيه فصل الجهاد وصرورته بالسمة للدولة كما أن الفاضل عبد الرحمن بن عبيش صنف كتاب "المغازي" فى عدة مجلدات<sup>(4)</sup>

ولم يقتصر الاهتمام النظري بالحرب وما تنبئة من قضايا واشكاليات على الفقهاء والقضاة دون غيرهم، بل إن بعض الحنابلة الموحدين أظهر اهتماماً لا مثيل له بأمور الجهاد فعبد المومس بن علي، أول خلفاء الموحدين، "كان يعلل أحداث الجهاد بنفسه على الموحدين"<sup>(5)</sup>، وعلى نفس النهج سار ابنه يوسف، الذى كان يأمر العلماء بجمع أحداث الجهاد وكان يقوم بإملائها بنفسه على الموحدين<sup>(6)</sup> أما يعقوب المنصور فهو الذى "رفع راية الجهاد"<sup>(7)</sup>، كما "كثرت الفتوحات فى أيامه"<sup>(8)</sup>، إن الاهتمام بالمشاعل "الجهادية" من لدن أغلب دول العصر الوسيط، شكل ثانياً من ثوابت السببتين الداخلية والخارجية لهذه الدول ونظراً لتغليب الشأن لعسكري على بقية الشؤون الأخرى، فإن صورة المغرب "الجهادى" انصفت بأدهان المشاركة، فالمقدسى البشارى<sup>(9)</sup> حين حديثه عن أقبس المغرب وصف أهله بالجهاد والاهتمام بأمور الحرب

لقد تأسست دولة الموحدين اعتماداً على القوة العسكرية، كما أن وجودها استمر بفضل هذه القوة<sup>(10)</sup>، وإذا كانت الحرب قد

اعتبرت على رأس الأولويات في المغرب الوسط، فإن ذلك لا يمكن  
أن يدفعها بآية حال من الأحوال، إلى مسابقة بعض استراتيجيات  
لاستعماري<sup>(11)</sup> التي ذهب إلى حد القول بأن الاستعمار الفرنسي  
بمغرب سس سوى حلقة من حلقات الحروب التي عرفها هذا البلد

أو سيطرة الهاشم العسكري على مجتمعات المغرب الإسلامي  
خلال الحقبة الوسيطية أصبح من الأمور التي لا تعيد الجدال  
فعلامة من حللهم كان سباقاً إلى بيان دور الحرب وتأثيرها على  
جدد قطاعات الإنتاج فإبان فترة التأسيس تكون الدولة في  
حاجة إلى أرباب السيوف الذين يرتقون إلى مستوى شركاء  
لسلاطين وكذلك الأمر في فترة ضعفها "إذ تفرق الحاجة إليهم في  
حماية الدولة والمدافعة عنها، كما كان الأمر في تمهيدها"<sup>(12)</sup>

وسبب هذه الأهمية التي اكتسبتها الحرب، فإن الجند احتلوا  
مكانة مرموقة في سلسل التراتبية الاجتماعية خلال العصر الوسيط  
فلملك عند أس حللهم يسبي على أساسين لابد منهما: "اشوكة  
واعصبة وهو المعبر عنه الجند"<sup>(13)</sup> وثانيهما "المال الذي هو قوام  
ولئك الجند"<sup>(14)</sup>

والمقصود الوسيطية تقدم أرقاما خيالية للحدود المرافقين  
بجند والسلاطين أبناء المعارك الكبرى، فالناصر الموحدي حشد  
بريد على خمسة ألف جندي "دون المرتقة من الموحدين وريته  
واعمر وعبرهم"<sup>(15)</sup> لرد الرجف المصري على بلاد الأندلس  
ومما يؤكد لطاع العسكري للدولة الوسيطية، اعتماد الموحدين  
على "انتصارات والهزائم للتأرجح لمذاقتها وبهايتها معركة لعقب

609هـ / 1213م) اعتبرت في نظر جل المؤرخين إعلاناً بداية نهيار الدولة الموحدة لقد لعب الجيش أدواراً حاسمة في تكون الدولة ولحفاظ على استمرارها فاس تومر<sup>(16)</sup> الرعيم المؤرخ للموحدين حصص للهند "طقتين" من بين الطبقات الثلاث عشرة التي قسم إليها المجتمع الموحد الناشئ وتخصص دور لدى بعضه البنية المحاربة، فإن ورثها إرداد داخل المجتمع، حتى عدت تتحكم في دور اليب السياسة العامة للدولة.

صحيح أن دور الجيش كان يقتصر على ممارسة مهام الحرب والنار بعيداً عن كل أمر سياسي خلال فترات حكم السلاطين الأقباء إلا أن هذا الحياء سرعان ما تحول إلى استبداد كلما اعتلى عرش السلاطين حليفة أو سلطان "ضعف الشخصية"، أو قتل الدرية بالأمر العسكرية<sup>(17)</sup>.

وهكذا، فإن خضوع الأحياء لا يمكن فصله عن قوة السلطان والتاريخ بوسيط يقدم التعبد من الأدلة التي تبين أن خضوع الجيش بلحبيبة أو السلطان ليس من باب التراتبية العسكرية أي باعتبار القائد الأول للجيش، بل أن هذا الخضوع لا يفسد عن قوته وأخوف من بطشه.

فالخضوع إلى ملك الدماء والحمر والتغريب والعزل ومصادرة ممتلكات كـر سلوكاً مشتركاً بين معظم السلاطين والجماء الأقباء والسجدة والتدريه العسكرية اعتبرت من الصفات الواجب توفرها في الرعيم السياسي، من هنا لا سمحاً إذا وحدها لدى

المؤرخين أوصافاً للسلطين على شاكلة "وكان شجاعاً مقداماً، عظيم العزيمة على أعدائه، لا يجترىء أحد على مخادعته"<sup>(18)</sup> أو "بذلك قطع أيامه ورفع أعلامه، وأحيا الحق وأعلا مواسمه وحصد الباطل وقطعه وقمع شرذمته"<sup>(19)</sup> أو "كان عارفاً بأصول الحبر والشرف فروعهما"<sup>(20)</sup>.

ولعل ما كان يزيد من حضور الحرب في الحياة اليومية للراعي والرعية على حد سواء، اعتبار الموحدين أنفسهم أصحاب العقيدة الصحيحة، أما غيرهم فليسوا - في نظرهم - سوى محسنة كفار نجب محاربينهم وقتالهم لرد عنهم وردهم إلى جادة الصواب<sup>(21)</sup>. وليس عريفاً أن تأخذ كل حروب الموحدين طابعاً "جهادياً"، فنظرهم وإمامهم محمد بن تومرت<sup>(22)</sup> خصص ضمن كتابه أعر ما يطلب باباً كاملاً للجهاد، وما يرتبط به من نصايا وما ينترب عنه من مشاكل.

ويبدو هذا الاهتمام المتزايد بالحرب وأمر الجهاد في النفوس التي زخرف بها الموحدون بعض بياباتهم، فقد دونوا على باب القصة الشرقية للرباط الآية: "يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على فجارة تتحيكم.. الآية"<sup>(23)</sup> كما نقشوا على إحدى روافد صومعة حسان المطلة على البحر سيفين متجهين نحو السماء<sup>(24)</sup>.

اعتماداً على هذه الأمثلة وغيرها، والتي تبين كلها ارتفاع الحرب لدى الموحدين إلى مستوى العقيدة، كان لابد وأن يطغى اميدان، العسكري على بقية الميادين، وأن يتربع المؤسسه العسكرية على

قمة الهرم الاجتماعي بل إن الغرب الإسلامي حسب رأي أحد  
المباحثين الأجانب<sup>(25)</sup> لم يعرف بعد الموحدين تلك القوة  
العسكرية وذلك التصدير الحربي اللذين كانتا سمتين بارزتين من  
سمات العصر الموحد.

إن حظوظ الحرب على الدول الوسيطة أصبح من الأمور التي  
لا يرقى إليها الشك، فيكفي أن نشير إلى أن أغلب المؤرخين يقرنون  
بداية الدول وهمايتها بحدث عسكري، فنهاية دولة المرابطين بدأت في  
الأفق بعد مقتل الأمير تاشفين بن علي على يد القوات الموحدية  
بمدينة وهران<sup>(26)</sup>، والأمريسيه يطبق على دولة الموحدين، ذلك أن  
هزيمة العقاب كانت إيذاناً ببداية أفول فجر هذه الدولة وفي مقابل  
حضور مسؤولية الحرب في قبلمر الدول وسقوطها لانهثر في مصادر  
المرحلة على ما يبعد انهيار دولة بسبب جائحة أو كارثة طبيعية،  
وهكذا، فإن إعادة التفكير في إشكالية الحرب خلال العصر الوسيط  
من منظور جديد يتجاوز السرد الكرونولوجي للأحداث العسكرية إلى  
الحفر في نتائجها الديمغرافية والاقتصادية والنفسية، لكيفية الكشف  
عن معطيات جديدة ستعني البحث التاريخي ولاشك

وإن، كما يجهل عدد صحابا المعارك الكبرى التي دارت رحاها  
في مغرب الأقصى، على الأقل، سبب ندرة الإحصائيات والأرقام  
في الحوليات الوسيطة، فإن المتوفر منها يسمح بالقول إن الحرب  
كانت تمثل كارثة حقيقية على البنية الديموغرافية والمناطق  
الاقتصادية والعمري، ويكفي الإشارة لإقامة الدليل على فداحه

المصدر "مشربة الناجحة عن الأعمال الانتقامية للرعاة الدرس أو  
 السدسين إلى حدثين وحدا صدامها في الأدب التاريخي أو سده  
 يمثل الحدث الأول في عمله "التميز" التي سده ابن تومرت  
 بحال امصامدة بن عامي 518 هـ / 119 هـ / 1124 م 125 م  
 لاحظ أن اسك مدأ برأود أدهان أفراد القبائل المصابعة له حور  
 "عصمه" وامكانية نجاح دعوته، ولم يتأخر رده حيث أمر بجمع كل  
 مصابعه من إقامته حصص تنمطل، وكلف أحد أتباعه المختصر  
 المعروف بالبشير الوثريسي بتعبير عملية العناصر "الثنية" وفره  
 من الجموع الغفيرة الحاصرة وقتلها وقد بلغ عدد قتلى عملية التمييز  
 بنهر السبعين ألفا حسب ما تنص إليه بعض الروايات<sup>(27)</sup>.

قد حاول بعض الباحثين أن ينصوا عن ابن تومرت مثل هذه  
 المجزرة البشرية الرهيبة حين اعتبروها مجرد مبالغة تحمل في طياتها  
 رغبة عدائية لحركته غير أن الباحث سرعان ما يتراجع عن مساندة  
 صاحب هذا الرأي، مستنداً في موقفه هذا على حجج تاريخية  
 دامغة ولعل أسطفا أن المؤرخين الرسميين الموحدين اسسهم  
 بعنفور صراحة بهذا التفتيل الجماعي الذي ماركة ابن تومرت  
 في القطان<sup>(28)</sup> الذي ألف كتابه ترولا عند رعية الحبيبة الموحدي  
 عمر المرتضى حدث بإسهاب عن عملية التمييز هاته.

سما تتمثل الحدث الثاني في العملية المعروفة في المصدر  
 الموحدة "الاعتراف" والتي تمت عام 544 هـ / 1129 م ومنحصر  
 هذه العملية كما ورد لدى البيهقي الصنهاجي<sup>(29)</sup> باعتبارها ساهم



عبارة عن بعض أهالي مكناسة أقدموا على قتل مجموعة من العناصر المسلحة باستخلاص القمح من إحدى الغابات المطلّة على مدينة فاس وبعد استشارة مجلس الشيوخ الموحدي وموافقة أعطوا عدد من أمراء القبائل حملة نظهيرية شملت البوادي والخواصر التي تعرف بمركز العناصر المعادية لقيام الدولة الجديدة

وبوصح الجدول التالي<sup>(10)</sup> جوانب هذه العملية فورد، وانقذت أو ألحواض المعاقبة، وعدد صحابا كل قبيلة أو حاضرة مع اعداد لإحمايين بصحابا:

اسم قائد القبيلة	القبيلة المعاقبة	عدد الضحايا
بو اكيم ويحيى بن كرك	هرميرة	3000
محمد بن مسكارة وعبد الله بن ملات	وكرات	3000
صهر امي سعد وعشاي بن ماء	حاجنة	8000
بن بكيث وأمر مولي	أهل سوس	6000
ويعمل بن دوح وأبن سبلي	أوروكيت	5000
عوسر بن عوسر وكسبي بن سليمان	جرولة	8000
سليمان بن يحيى وأبن بن يحيى	هكورة	25000
عبد بن عيسى وعبد الله بن دارود	ث لا	75000
بو سعيد يحيى ومحمد بن يحيى الكنديزي	الرباط	120000
أبو عبد الله محمد بن سليمان ويحيى بن بونكروريس	مسارة	9000
عبد الله بن هانسة المازني وأبو تومارث	بوغراطنة	6000
اسحاق بن حمور الهشاشي	مكالة	6000
محمّد بن علي بن يعقوب	جولارة	8000
ركوب بن - - - الله الزويكي	وريك وهرور - -	2500
يحيى بن يحيى وعبد الكريم المازني	لجاعة وعرجة	1500
يحيى المازني وعبد الصمد المازني	درة	6000
محمد بن يحيى بن يحيى بن قودوب	له يكر سمها	10000
يوسف بن سليمان وعبد الله بن حازار - - -	فاس ومكناسة	5800
1- - - - -		130000

من خلال هذا الجدول يتضح أن أغلب القبائل المعاقبة تنتمي إلى السهل ولا يخفى أن القبائل السهلية رفضت اعتناق الدعوة الموحدية وهو الأمر الذي دفع معبد المومن إلى أحصاعها بالقوة وم قتل المحامين الذين كان من وراء انطلاق هذه الحملة سوى تهريب ومحاربة للتخلص من مسؤولية الخسائر البشرية والاقتصادية الناجمة عنها وإذا أضفنا إلى هذه الخسائر الديمغرافية خسائر مماثلة نتجت عن معارك أخرى خاضتها الدولة - وعلى رأسها معركة العتاب الشهيرة - سنعلم، ولا شك، فداحة ما تعرضت له ساكنة المغرب من تقنين وإبادة.

وهكذا فإن إرساء دعائم السلطة الموحدية لم يتم إلا بعد القضاء على عدد كبير من سكان المغرب الأقصى، وباعتبار أن العدد الإجمالي لساكنة المغرب الأقصى في القرنين السادس والسابع للهجرة لن يكون كبيراً، فإن مثل هذه الخسائر البشرية جعلت منه منطقة شبه فارغة خاصة في البوادي حيث تشتت القبائل<sup>(31)</sup>

إن سياسة القتل والتنصبة التي مارسها الموحدون في حق الرجال دون النساء قد أثرت على توازن الهرم السكاني بحمل عدد الإناث أكبر من عدد الذكور، الشيء الذي ساهم على المدى البعيد في تجميع الحياة الاجتماعية بانتشار ظاهرة الأرملة ولعاء وما نتج عنها من كثرة السبايا والإماء لدى العناصر المتمردة على أن الخسائر الناجمة عن الحروب لم تكن تهتم لساكنة وحدها بل إنها امتدت لتلقي بظلالها القادمة على الثروة الحويانية

كذلك وفي مثل هذه الفترات المخرجة تتعرض البهائم لسلب  
 ولسرقة في اطار ما يسمى بـ "لعينة" من طرف المحاربين العوصيين  
 ولا يحصى أن الأبقار والحمول ودواب الجر كانت وسيلة أساسية من  
 وسائل الإنتاج الزراعي وحرمان الملاحين منها يعنى التأثير على  
 مردودية أعمالهم الزراعية. وبالتالي التأثير على مستوى معيشتهم  
 وقد يودي، أحيانا، إلى انتشار مجاعات محلية<sup>(12)</sup>

ويحدث أحيانا أن يتزامن نزول كارثة طبيعية مع اشتعال  
 إحدى الحروب، فتكون النتائج المترتبة عن هذا التماس وحمية  
 سعاية. فإيا "الحركة" الطويلة الأعوام التي انتهت بسقوط دولة  
 المرابطين. يوضح ابن عدي<sup>(13)</sup> بكثير من الدقة الوضع الاقتصادي  
 المتردي الذي خيم على المغرب بعد هذا التماس، إذ "انصلت  
 لحروب بلاد أهل الثمار وعلت الأسعار عما كثر حتى وصل فيها  
 أربع من الدقيق عشقال حشمي ذهبي وتوالي هذا الجذب حتى  
 حلت في الأرض مدايبها، واعمرت حوائبها. وقلت الهباب بهذه اثنين  
 وكثرت الثوارم على الرعايا بالعدوين والحق العدو البصري  
 بالبصريات على جميع بلاد الأندلس حين علموا عجز الأسارة  
 "مغرب، واشتعالها بحرب التأثير المبهج للفق"

ويسعى الاعتراف بأن المبالغة العرسة انداحلة الى المغرب  
 لاقتوى كان لها نصيب كبير من مسؤولية الحراب، الذي عرفه  
 المغرب خلال القرن السابع الهجري. فبالعودة إلى كتاب ابن  
 عدي<sup>(14)</sup>، يستطيع الدارس الوقوف على بعض آثار هذا المحرب.

عن السير الذي أحرقه عرب الخلط بمدينة مراكش وفسد بحر عامة، بعد قتل الخليفة عبد الواحد الرشيد لزعيمهم مسعود بن حمدان، يقول ابن عذاري: "واحتجوا من كل أوب ووح، واستفرو الحصرة معيين بطلب ثأرهم، فأخذوا بحصاتها، وشرعوا في تدمير البحائر وقطع مياها وشجراتها وقد خلت أمامهم المداشر والقرى > من كان لهم عليه سلطان من الرعية، فإنه استفر مكانه وعظم بتقامهم وعيشتهم في الحور، فصاقت الأرض بما رحبت على الناس لانقطع المرافق والموان وأرتفعت الأسعار، وعلمت الأقوات وقد كمل مرفق، فأعور وجدان ما يستفح به الناس من الحطب والتبن والفراكه والحضر، وما يجلب من البرادي، واقشعرت أجلود من هور المشكابة في طلب شيء من الحطة، وبلغت مبلغاً لا عهد بمثله حتى انتهى الربع الواحد من الدقيق الفاسد إلى ثلاثة دنانير، والناس في أزحام على من يشعرون عمداً رنة الجردلة منه أو من سوا وما أهمل إلا إقامة الأرد مما يطلق عليه اسم الحطة"

وهكذا فبئر المدن ثم نكس أقل معاناة من البرادي أثناء الحروب. ذلك أن المنعرجين أو العناصر الموالية للسلطة الذهبية نصرت على الحواضر المراد إخضاعها حصاراً قد يمتد عدة أشهر كما حدث، نسبة لمراكش عندما حاصرها عبد المومن تسعة أشهر قبل أن يتمكن من السيطرة عليها<sup>(35)</sup>

وقد مر صاحب كتاب الحلال المرشية في الأخبار المراكشية<sup>36</sup> وصفاً دقيقاً لأوضاع أهالي مراكش أثناء هذا الحصار، فقد "أشد

محمد بنهم والكثرة حيلهم ورحلهم فقد طعاهم، ونسب محارهم  
 حتى أكلوا دوابهم. ومات منهم بالجوع ما ينيف على مائة وعشرين  
 ألفاً ولما طار عليهم الحصار، واشتد أحوالهم، هلكوا جوعاً حتى  
 أكلوا الحنظل، وأكل أهل السجون بعضهم بعضاً، وعذبت الحيوانات  
 كلها، والحصى بأسرها، واختبرت المحازن فلم يوجد بها شيء، وعجزت  
 عساكر اللعنويين حينئذ عن الدفاع والإمناح، ضعف العدد  
 وأعدته وكثرة الصبغة والسدة، ففتحت مراکش حينئذ.

لقد كان للحروب تأثير سيئ على المستوى المعيشي للسكان  
 إلى درجة أن انتهاء أزمة سياسية كان يعني في عرف بعض  
 ملوحيين عودة الإردهار والرحاء، نجد مصداقاً لهذه الفكرة عند ابن  
 عذاري<sup>(37)</sup> الذي وصف أحوال المغرب بعدما تمكن الحليفة عند  
 الواحد الرشيد من القضاء على ثورة الأخطا عام 635هـ/1237م  
 قائلاً: "وكانت هذه السنة سنة حصص وحيرات وتنازع مسرات  
 انتهى الفتح مراکش إلى ثلاث أمداد حنصية بدرهم وتنافس  
 أسس في شراء الأسلاب والثياب حتى بيعت شقة ثياب ديناراً من  
 هذه الدراهم، وذلك لاتساع الأحوال والآمال فقد كثر الناس  
 نوات عليهم أمور وأحوال يطول أمرها ويثقل ذكرها".

وتم كثر يريد الوضع سوءاً التحاء الناس إلى احتراش الرع،  
 وكثر أنواع المواد العدائية عند تسرب حرب دسنة، فحسباً لك  
 ما تمكر أن يسجر عن طول أمدها من صيق العيش أو نقصان في  
 مواد استعويين والطريقة مسها مهجها كبنار المحتكرين من اسحر،

الدين يستعملون الظروف لتصريف بضائعهم بأصعاف أنسابها فقد عادت الحياة إلى طبيعتها عام 633 هـ / 1235 م بعدما تمكس عند الواحد الرشيد من دخول مراكش وطرد منافسه يحيى بن الناصر وأحلافه عرب الحلط منها. ذلك أن الررع عاد إلى الظهور بعدم كان "معدومة" وما كان سبب وجدانه إلا استخراج ما كان للحلط محروناً في المحصرة وحوزها وجهاتها<sup>(38)</sup>

وبالمثل، فإن الميدان العمراني تعرض بدرجة لكثير من الضرر الناجم عن عمليات الهدم والتخريب التي كانت المعامل العمرانية هدأ لها. فقد النجا عبد المومن إلى تطبيق سياسة هدم الأسوار المحيطة بالمدين المنووحة، مبرراً ذلك بقوله الذي عدا مشهوراً: إنما لا احتاج إلى سور، وإنما أسوارنا عدلنا وسبوا<sup>(39)</sup>

ولم يبق الموحدون عند حد تدمير أسوار مدن كفاش وصلا وسبنة، بل إنهم تجاوزوا ذلك إلى تخريب وهدم مدن بكمها شععين فيما ذهب إليه مارواه الشريف الإدريسي - وهو أحد معاصريهم - حينما ذكر أن المصامدة هدموا إلى حد الاندثار والهو مدينتين كانتا تقعان إلى الشمال من فاس وهما صاع وبني تاوردا<sup>(40)</sup> وحتى ننصح خطورة الحاسائر العمرانية الناحية عن الحروب تكفي العودة إلى كتب الرحلات والمجهرانية الوسيطية فهي تزخر بالإشارات التي سببت جمعها وتصيغها وضع خارطة للمواقع المدمرة خلال القرن السادس الهجري. إن عمليات الهدم التي كانت تلحق بالمآثر العمرانية هي التي تفسر ضعف أعمال البناء والتشييد خلال العصر الوسيط<sup>(41)</sup>

ومكدا فإن فترة ما بعد هزيمة العتات لم تشهد أشعلا عمرانية  
 ذات دل وقد كانت الاضطرابات السياسية، وما منحصر عنها من  
 حروب ونشاطات، فضلا عن التخاص المالي الذي عانت منه الحريفة  
 الموحدية سبب ملخص عائدات التجارة القاطنية، من العوامل التي  
 حالت دون الاهتمام بالمشات العمرانية. ليس هذا فحسب، بل إن  
 بعض الملوك النجاري كان لها صيت نجاري ذائع قبل السرة الموحدية  
 وأنها، عرفت مدورها بدمير أمهولا نتيجة للصراع الناشب بين  
 المنترين والسلطة الموحدية. ففي عهد أبي دهر (665هـ - 1266م)  
 (668هـ - 1269م)، أحر حلفاء الموحدين، فحوت مدينة ثارودانت  
 إلى مساحة منقورة "خلاء إلا فلانل من الدور بارجها".<sup>(42)</sup>

وإن تكن الحروب الداخلية بين العصبيات المتنافسة حول  
 الحكم وحدها العامل المدمر للمعالم العمرانية، بل إن محومات  
 انصاري عدااة استفحال ضعف السلطة المركزية كانت مدورها  
 تساهم في هذا التدمير فقد كانت قصبة بادس وأغلب مدن  
 الساحل الشمالي هدفا لمحومات نصراية<sup>(43)</sup> على أن هذه المحومات  
 لم تقف عند حد المدن الشاطنية، بل تجاوزتها في عهد المرئضى  
 (646هـ - 1247م) / (665هـ - 1266م) لتشمل مدن الساحل  
 الاهلسي ذلك أن البصاري باغثوا مدينة سلا عام 658هـ / 1259م  
 "فحربوا الديار وحرقوها بالنار، وأشعلوا في كل ما وجدوا في  
 ديار مدينة، وأسواقها من الأثاث والأسباب، والأمتعة والعرش وغير  
 ذلك من السلع أشعلوا في كل موضع الميران فكانت تلهب فيها

ككل مكان فحرقوا وسرقوا ونهبوا، وسلبوا، ثم فروا وهربوا،  
وتركوها حين خرجوا منها حالمة وحائرة والسرور يستعد في  
أسواقها وديارها<sup>(44)</sup>.

عسى أن يحرب المعالم العمرانية إزداد بعد ظهور الحركة  
المريمية ودحولها في صراع عسكري ضد حلفاء فترة ما بعد معركة  
الغلب وروع أن الكتابات الموالية للمرينيين حاولت التستر على  
هذا التحريب، إلا أن بعض مطاهرة طغت على السطح فبين أبي  
زرع<sup>(45)</sup> الذي يعد من أشد المدافعين عن القصة المريمية، يشير  
إلى "أنه لما دخلت مرسى المغرب تفرقت قبائلها في أنحاء، وشنوا  
الغارات على بلاد وأرجائه، فس أدعى لهم بالطاعة ساموة، ومن  
بداهم بحرب قتلوا وقصوه، فمر الناس امامهم يميناً وشمالاً، ولحقوا  
بالجبال لمبيعة لتكون لهم حصاً ومالاً"

وعلى عكس ابن أبي زرع يذهب صاحب الذخيرة السنية<sup>(46)</sup>  
إلى أن بلاد المغرب شهدت خيرة أيامها خلال فترة حكم الأمير  
المريسي أبي يوسف يعقوب (656هـ - 685هـ / 1258-1286م)، فقد  
"راى الناس فيها من الأمن والرخاء والدعة ونوال الحصب والإقبال  
وسرقات ما لا يوصف ولا يقوم أحد بشكرك"، فالرخاء بلغ مستها  
حتى أن "التمج كان يباع فيها سبعة دراهم للصحة الواحدة  
وشعير ثلاثة دراهم للصحة والموء والعطاني ما له سوم  
ولا يوجد من يشتريها" ويستمر المزلج المجهول في انوار مظهر  
الرخاء مر خلال رحى أثمة المواد العذائية موحنا من وراء دمن



ظهر "ركة دولة أمير المسلمين وعن خلافته وحسن سيرته في  
عينة وجميع المسلمين. وصفا بينه وقلبه لهم" (47)

سحر الحراب الذي سجله ابن أبي زرع سجلته كتابات أخرى  
يمكن اعتبارها ذات نوحه "محايد"، فإن عذارى<sup>(48)</sup> سر نفسه  
الإشارة إلى الرعب والدمار اللذين شرهما المرينيون بلاد العود  
ذلك أن حيلهم في هذه البلاد أصبحت "راحة عادية، تستعمل ما  
أفنته سبوقها من المعتلين على كل حاضرة وبادية". كتب لهم  
عندما فتحوا مدينة سلا عام 657 هـ / 1258 م "سلبو ويهو في  
يلهم ونهارهم" (49)

إطلاق من هذه الشهادات وعبرها، ينبغي أن تحريب المعامل  
العمرانية لنخ عن الحروب بين أفراد الأسرة الموحدية<sup>(50)</sup> من جهة  
وبين الحكام الموحدين والمتمردين من جهة أخرى كان كبيراً  
ولأنه يهيئ النتائج الاقتصادية السلبية المترتبة عن هجرة أساس<sup>(51)</sup>  
مساكنهم وأماكنهم في العدة إلى بعض المصنعات انتهية  
المعصرة بالأحداث، يمكن استنتاج حجم الحاسائر اللاحقة بالقاعدة  
الاقتصادية لمغرب أواسط القرن السابع الهجري ولورشات  
والمشآت الحرفية ودور الصناعة تعرضت للتلاشي كما كثرت  
لقرى أمه حورة، وتخلصت المساحات المرروعة خاصة في المناطق  
سهلية، الشيء الذي أدى في نهاية الأمر، إلى عودة سيادة شط  
توحد والوعر على حساب التمدن وحياة الاستقرار<sup>(52)</sup>

وهكذا فإن الحروب رغم عذرها بصاع العقباء طاع الجحفة  
عليها تعد من مظهر الموزح المحدث، على الأقل، من أخطر الحواج

عمر الطبعة على إسام معرب العصر الوسيط فالنتاج الديموغرافية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية والنسبة المترتبة عنها فت في عضد المجتمعات الوسيطية، كما ساهمت إلى حد بعيد في ديمومة الدائرة المعرغة التي طلت تلك المجتمعات تدور فيها والحرب بما خلقت من صحايا، وما التلعتة من أموال، وما انت عليه من وسائل إنتاجية، كانت بحق تمثل حجر الزاوية في إشغالات المغاربة حكماً ومحكوماً.

وفي الميدان الحربي أقدمت الدولة على تشجيع الصناعات التي تخدم توجهاتها الحربية، فاعتباراً لكون دولة الموحدين دولة محاربة بدرجة أساسية، واعتباراً أيضاً لكون الحرب هي مصدر الأموال، فإن الصناعات التي حظيت باهتمام الحلفاء الموحدين كان لها ارتباط وثيق بالحرب، فقد ازدهرت الصناعات المعدنية لحاجة الدولة إلى الأسلحة من جهة، وتصدير مستوحاتها نحو أسواق السودان فصد الحصول على الذهب والعبيد من جهة ثانية، كما ازدهرت صناعة المسوجات لحاجتها للسود والأعلام والخلع والكسوات التي كانت تدخل ضمن رواتب الجند<sup>(53)</sup>.

وفي الوقت ذاته ازدهرت صناعة التجارة لحاجتها للمراكب والاحفان الحرسية لنقل المحاربيين إلى الأندلس، وحماية الحركة التجارية ماحرص العربى من البحر الأبيض المتوسط ومن العلامات الدالة على ازدهار هذه الصناعات تلك الشهيرة التي كانت للأسطول الموحدى، حتى ان الأمير صلاح الدين الأيوبي بحث

لجديفة يعقوب المصور طالبا منه إمداده بقطع من أسطوله لوقد  
الرحم الصليبي على المشرق الإسلامي<sup>(٩٤)</sup>.

وإذا كانت حركة البناء ذات الصلة بالمرافق والمنشآت العامة قد  
عرفت بعض الانكماش، فإن هذا الحكم لا يطبق على حركة  
البناء المرتبطة بالأشغال العسكرية<sup>(٩٥)</sup> فقد إردهرت سياسة بناء  
الحصون والقلاع والمعسكرات التي كانت الدولة في حاجة إليها  
لمراقبة المجالات الخاصة لها، أولئك جميع فوائدها للإنطلاق نحو  
الأندلس، أو نحو المناطق الشرقية من حدودها ولعل أصح  
مشروع عمراني فر نشييده خلال القرن السادس الهجري ويعني  
به مدينة ربط المنج، إنما كانت العوامل العسكرية من وراءه  
صاحب كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار<sup>(٩٦)</sup> المعاصر ليعقوب  
المصور - يشير صراحة إلى أن العامل العسكري هو الذي تحكم  
في اختيار موضع مدينة ربط المنج، فالمنازع التي تخترق عليها  
المدينة إنما "أعدت لورود الحملات عليها" سبب وقوعها "على الحار  
والمعبر إلى حصرة مراکش"

وفي ميدان الحماية يبقى التأثير العسكري حاضرا حين يذهب  
فريق من الفناء إلى حد إعطاء الحق للإمام في فرض المغارم  
والمكوس على رعاياه في حالة عجزت المال عن توفير  
الإمكانيات المادية الضرورية للدفاع عن مصالح المسلمين الذين  
"لأنكس ثغورهم، ولا يملك عنهم عدوهم"<sup>(٩٧)</sup> وفي حالة  
"عجزت المال عن أرزاق الحنود وما يحتاج إليه من آلة حرب  
وعدة يورع على الناس ما يحتاج إليه من ذلك"<sup>(٩٨)</sup>

ب. حضور الجيش بقوة في الدينامية الاقتصادية والاجتماعية  
 واسباسية لأعلى دول المغرب الوسيط، هو الذي يسمح له  
 بالحدث عن "أسلوب الإشتاح الحربي" خلال تلك الحقبة  
 بـ "صاح من خلال التصور الخلدوني أن الاقتصاد المسمو عن  
 "أسلوب الإشتاح الحربي" لابد وأن يتناقض في إحدى مرحلتيه  
 مع المقررات السريعة في ميدان الحماية وبعد كل من السطوح  
 والحشية والحامية المسؤولين الرئيسيين عن هذا التناقض مصريف  
 السلطان ومنطلقات الحماية تستمدان في "اقتصاد العزرو"<sup>59</sup> كل  
 مورد الدولة، وللحفاظ على سيرة هذه المصاريف لا يجد السلطان  
 أمامه سوى رعاياه الذين يحرص عليهم بالقهر مختلف المكوس  
 والمعارم، وهذا المصدر بعينه، في الواقع، من امصادر "عبر  
 الطبيعية" للمال<sup>(60)</sup>

ويجعل ابن خلدون<sup>(61)</sup> الاشتقاق الجسائي من لأسباب  
 الرئيسية لأصحلال ثروات الدول الوسيطية، فالسلاطين قلما  
 يهكروا في تعبیر عاداتهم في العطاء والبدح، أصب إلى ذلك أن  
 السع رفعة الدولة يحرص عليهم الرع من اعداد الجيش، الأمر  
 الذي يؤدي حتما، إلى مضاعفة الأعباء والتكاليف المالية ويرداد  
 الواقع استنفاحا إلى العورات المتأخرة من حياة الدولة سبب  
 حركات الاسراء والسكر الحمل من طرف المنتهدين للتهرب من اداء  
 حصصهم من الحماية، فلا يجد السلطان من وسيلة غير الريادة في  
 قيمة المعارم والمكوس المعروضة على الرعايا المستضعفين وتكون

عرواب وحبمة على الدولة، إذ "تكسد الأسواق لهساد الأمل".  
كما "يؤذن ذلك باختلاف العمران".

لقد عبت دولة الموحدين من محاضرات نقدية متتالية منذ هزيمة  
العقب المشؤومة صبي عهد المرئسي كأن بيت المال فارغاً في أعقب  
الأوقات اسي درجة ان هذا الخليفة لم يجد ما يؤدي به رواتب  
عصر الجيش النظامي وللخروج من هذا المأرق كسر يأمرها  
ماخروج معرو القنائل الثائرة والاستفان من المتمردين وهو بهذا  
الإحراء كان يحقق هدفين اثنين، أولهما استرجاع بعض الأقاليم  
إلى حصيرة الدولة وثانيهما حصول الخلود على رواتبهم من  
عمليات النهب والتغريم المصاحب للعبور

وقد عبر ابن عذارى<sup>(62)</sup> عن هذه الوضعية خير تعبير حينما  
أورد نص الحوار الذي دار بين المرئسي ووريرة أبي موسى ذلك أن  
هذا الأخير أقدم على نسبة الخليفة إلى فراع العاصمة مراکش من  
الخنود والحامية في وقت كان فيه ماضيه على العرش اندرس أبو  
ديوس مترصاً يحمل هيكورة ينظر الفرصة المواتية للانفصاف على  
مراكش فكر حواب المرئسي أن "نطرة بأفسى نظرة، وفار له  
لا تدخل مسلك في شيء من ذلك إلا إن كان وثيق عليهم من  
مالك فيصلوا جميعاً"

بعد هذا العبور المالي الذي عانت منه التجربة الموحدية خلال  
الفترة المشأخرة من حياة الدولة، بررب إلى الوحدون طاهرة "لإفصاف  
أحمدى" در لطبع القملي، الذي سينحول بعد الاضطراب

السياسي، واستتم الحال المتحيزة إلى "إقطاع" فردي، فمن أجل الحفاظ على ولاء الشخصيات النافذة داخل الهرم السياسي، يضطر السلاطين العاحزون إلى التنازل لهم عن مناطق محددة قصد الاستفادة من عائلاتها الصربية وفي هذا المعنى يذكر ابن عذاري<sup>(63)</sup> أن الحليفة عند الواحد الرشيد 630هـ - 640هـ / 1231م - 1241م الكبي يستميل ابن وقاريط - أحد أقوى شيوخ قبيلة مسكورة - إلى صدة "أعمر عليه بحبي مزرجة وأعمات وريكة وكتب له بذلك ظهاره"

من هنا يتضح أن المجتمع والاقتصاد المبنيين من "أسلوب الإنتاج الحربي" يجعلان الموصل الحربي على رأس قائمة الشروط الواجب توافرها في الراغبين في الاستفادة من الامتياز الجبائي سواء أكانوا أفراداً أم جماعات وحتى أولئك الذين أعفوا من أداء الضرائب لفترة محددة كأهالي زرهون لم يحصلوا على هذا الامتياز إلا نظير مساعدتهم للموحدين إبان حصار وإخضاع مدينة مكناصة<sup>(64)</sup>.

وهكذا، فإن حاجة الدولة خصوصاً في مرحلتها المتأخرة إلى الدعم العسكري جعلها تلجأ إلى الإقطاع الجبائي سواء من أجل الحفاظ على ولاء المنقطعين الذين يگورون في الغالب من القواد العسكريين وشيوخ القبائل، أو من أجل استئالة عناصر ممتدة إلى صفه إر الإقطاع في ممارسة هذا الشكل من الإقطاع هو الذي حول المحار الحاصص لها إلى مجموعة من "الإقطاعيات" تعبر نجاحاتها تبعاً لمصالحها الظرفية

أما عن النتائج الإحصائية المترتبة عن الإقطاع الجبائي فقد كسب وخيمة حبيماً يبدو من خلال بعض الصور قالبادسي<sup>65</sup>

لدي اهتمام بتدوين السيرة الذاتية لصلحاء الريف كان يشير إلى  
 النسبة والآخرى إلى العوضى وإعداد الأمر اللذين تسبب فيهما  
 العرب المستوطنون تلك الجهة بفعل المغارم المرتفعة التي فرضوها  
 على السكان. ومما زاد من محنة هؤلاء السكان تعرضهم لهجمات  
 البصاري كلما تجمعوا ببعض معاقلهم الساحل البحر فراراً من  
 حذروت وطعنان العناصر العربية<sup>(66)</sup>

وينكرر نفس الوضع بإقليم دكالة. فأحمد بن أبي محمد صالح  
 الماجري<sup>(67)</sup> يذكر أن قبيلة دكالة بمجرد وفاة حامليها الولي أبي  
 محمد عبد الصمد الدكالي، وارتفعت بموته حمايته عنها "قالوا فما بلغ  
 الظاهر من ذلك اليوم حتى وقع الهب في أرض دكالة وشنت  
 الغارة عليهم حتى سببت أموالهم"

ولعل أيضاً في الرسائل التي أوردها أبو القاسم البلوي<sup>(68)</sup> ما  
 يكشف عن استحالة أعمال السطو والنهب، وتعدّي القبائل القوية  
 على القبائل الضعيفة. ومما بلغت الانتباه في هذه الرسائل أن تاريخ  
 بعضها يعود إلى ما بعد معركة العتاف<sup>(69)</sup> بقليل، الأمر الذي يؤكد  
 أن هذه المعركة تعتبر بحق علامة فارقة في تاريخ الأسر الطورانية  
 الموحدية وفصلاً عن ذلك، فإن الأحداث التي ترونها تشي بغياب  
 تام للسلطة المركزية وممثليها على الصعيد الإقليمي، "فسدك  
 الدماء وانتهاك الأموال، واسترقاق النساء وافتحام الديار  
 والانتقام من الرعية بأنواع الأضرار، والتفتيل بالسلاح والتحريق  
 بالنار"<sup>(70)</sup> ممرسات أصبحت عادية في وسط يعلب عليه قانون البقاء

للاقوى كما ان المشعلين "أجالوا أيديهم على الرعية بسومومهم  
سوء العذاب، ويتسبون إليهم شتى الأسباب، ويطلبونهم بمعارم  
مصححة ومقلقة، ومتوعدونهم بإحراق الزرع، وإفشاء القند، إن توقفوا،  
عن أدائها"<sup>(71)</sup> وكانت النتيجة أن لاد الناس بالفرار لأنهم "لم  
يجدوا سبيلا إلى القرار"<sup>(72)</sup>

وإذا كان هذا وضع الميدان الملاحى، فإن المبدار انتحري  
لم يكن أفضل حالا منه، فالمغارم والمكوس كانت تلاحق  
التجار أينما حلوا وارتحلوا، فالعشارون كانوا يترصدونهم عند  
أبواب المدن ليأخذوا منهم "حق المخزن"، حيث إنهم لم يعرفوا  
أحيانا بين التاجر وغير التاجر ومهما كان فإن المكوس والمغارم  
كانت مفروضة على جميع أنواع العمليات التجارية التي يقومون  
بها، بل إن حشع الدولة تجاوز الحدود حينما فرصت الصربية على  
كل راعب في احترام مهنة ما"<sup>(73)</sup>.

فصرى القول، إن دولة الموحدين قد أولت حاسب الضرائب  
أهمية خاصة، فبالإضافة إلى حياط الخلفاء الموحدين على الضرائب  
الشرعية فاهم رادوا عليها مجموعة من المعارم والمكوس لم  
يفرضها الشرع من هنا كان يبدو أن الدعوات التي أطلقتها بعض  
للعودة إلى مفررات الشرع في ميدان الجباية، كانت ذات أهداف  
دعوية محسب، وبأنى قمة الضرائب في كونها المورد الوحيد الذي  
تنحأ إليه الدولة عند تقاض كل نشاط اقتصادي لنأدية رواتب الجند  
النظام والمترقة والموظفين، لهذا السبب بالذات، فإن قول عبد الله  
العروى<sup>(74)</sup> بأن بلاد المغرب عرفت مع الموحدين أول دولة عربية



محمية اعتمدت على موارد غير المكروس والقيء\* قول لا يصمد أمام  
صراحة النصوص التاريخية.

بعد تصدّرت المدن والقرى التي كانت تقع على طريق  
"الحركات" العسكرية المتوجهة سواء نحو بلاد الأندلس، أو نحو  
كند من المغرب الأوسط وإفريقية. وعندما تكون أعداد الجنود  
مرتفعة، فإن الدولة تطالب رعاياها بالمساهمة في تمويل الحملات.  
فيعقوب المصور عندما قرر التوجه نحو بلاد الجريد لمأديب المبارقة  
عام 582هـ/1186م، كانت جميع عماله على المدن والقرى  
الواقعة على طريق الجيش طالباً منهم "اصلاح المسالك وتوطئة  
السبل وتجهيزها، ونصب الحسور في أماكنها، وإعداد الأقوات  
وتزويدها، وتيسير العلقات، وإن لا عذر لهم فيما يحتاج إليه  
الجيش من الموجودات" (75).

وطبعي أن يحنّو العمال في تطبيق تعاليم الخلفاء وهم  
كما يعلمون أن التفتير في هذا الجانب بالذات قد يؤدي في  
أحسن الأحوال إلى عزلهم، وفي أسوأها إلى إعدامهم وبسبب  
هذا الاهتمام الرائد من طرف العمال بتوفير الحاجيات العددية  
للمجنود، فإن هؤلاء كانوا "يمشون كأنهم في مساكنهم ويستقون  
من النرفه والتمتع بما لم يعهدوا في معاشهم، ولا اقتدروا عليه  
في أماكنهم" (76).

وبلدلالة على أهمية توفر مؤونة الجيش في صنع الانتصار، نكتب  
الإشارة إلى أن هزيمة العصاب التي تكبدها الجيش الموحد في أمام  
لجيش البصراصة بالأندلس على عهد الناصر، إنما كان سببها قلة

الاقوات المعدة لهذا الجيش ضد لقي الجنود "في هذه الحركة من  
سرع المسعبة وإستشار المجاعة وتعذر الأوطار. وعدم الأقات مالم  
يعهده الناس ولا علموه في أسفارهم القاصيات<sup>(77)</sup>

لم يكن بإمكان الناصر السكوت عن تقصير عماله في إعداد  
اقوات الجند، لذلك قام باعتقال العاملين المشرقين على مركبين  
مهمين لاستراحة الجنود وهما عاملي فاس وقصر كسامة<sup>(78)</sup> وبعد  
محاكمتهم ونوجبه الاتهام لهما "بالإهمال والفساد"<sup>(79)</sup>، أمر  
بإعدامهما "فصرت أعناقهما صبرا عبرة للمعتبرين ودكري  
للعاقلين"<sup>(80)</sup> كما أمر بالناء القص على جميع مساعدتهما، بل تعدى  
الأمر إلى البحث عن كل الذين خدموا تحت إمرتهما مدة ولايتهما،  
حتى وإن كانوا قد أقبلوا أو استقالوا قبل هذا الحادث بالطبع<sup>(81)</sup>.

لقد كان توفير الموزونة للجيش عاملا منحصرا في علاقة العمال  
بالخلفاء، فالخلفاء كانوا يدركون أن النماوس في هذا الجانب قد يطيح  
بخلاتهم، لهذا السبب بالذات كانوا يحملون مسؤولية أي تقصير  
لعمالهم الواقعة منهم على طريق الحملات العسكرية وحتى  
ينحردوا من كل مسؤولية، وحتى لا يتهموا بالنواظ، كانوا يعدمون  
العمال المنصرين في مشاهد عمومية "ويحضور الآلاف من الناس  
لاعجب، والحالة هذه، أن عهد ابن الخطيب بوصي الإمراء أن  
سولوا قضية اطعام الجنود أهمية بالغة، حتى أن هذه الأهمية يجب أن  
تكون في طرد تلك التي يوليها الأمير، عادة، لسلاتهم فاسلح  
يجب أن يحتل المربية النابتة بعد الطعام"<sup>(82)</sup>

من خلال النصوص المستشهد بها يبدو واضحاً أن الاستعداد  
 لحرب كان يلتهم قسماً وافراً من الإنتاج الزراعي وإذا عسا  
 عتاقة المقتنيات المستعملة آنذاك في الحرت فضلاً عن دورات الحط  
 والجفاف التي تعرفها البلاد، ناهيك عن هجومات الحران، ذر كذا،  
 ولاشك، ما يعايبه الفلاحون عندما تنضاف إلى العواصف المد كورة  
 مسألة إطعام الجنود المارين عندئذ وقراءهم إن هذه الحوام،  
 مصاف لها الرواتب الحارية والهيئات الظرفية ومنحصلات، بعدئذ  
 جعلت العمل الحربي أكثر مردودية مقارنة بالعمل الفلاحي  
 أو الحرفي أو التجاري

من هذا فإن سكان الأمبراطورية كانوا يسارعون إلى الانحراط  
 في الخدمة عندما يطلب منهم ذلك ولا عرامة أن يحطو الجيش  
 بكل هذا، إلا أنهم، فسطرو الآداب السلطانية يعتبرونه "أبهة  
 الخلافة وحضناً سيعا من المخافة" (84). كما أن السلاطين والخلفاء  
 كانوا يعتقدون بأن "من كثرت أحمادة عمريت بلاد" (85) و"ومن  
 كثير حبشه قل خوفه" (86).

كما كانوا يؤمنون أيضاً بأن الجنود "لا يبدلون مهجهم إلا من  
 من قلوبهم بالإحسان" (87) وهو ما أكد عليه صاحب الشهب  
 اللامعة خير ربط بين قوة الدولة وثوفر المال الذي يجب أن يبد  
 للخدمة<sup>88</sup> وبـعندئذ أن النظام الموحدى نظام محوري ثنائي، و  
 سيدة لسط التي مارسها اعتمدت أساساً على الجيش<sup>89</sup>  
 وبسبب هذه الأهمية، أصبح الجيش يشكل مؤسسة مركزية في

دول المغرب الوسيط<sup>(90)</sup> واستقرار هذه المؤسسة ونمساها هو  
الصامس المعلي لاستمرار الدول

لاشك لحظة واحدة في ان المداخيل الشرعية على نوعها  
كانت عاجزة عن توفير متطلبات الدولة الغالبة لتجهيز العساكر  
الجرارة، وأداء رواتب الموظفين، وتأمين حياة النرف و'يدح للمجده  
والأمراء وأفراد حاشيتهم على أنه من الإصاف القول، ر عائدات  
العناصر كانت توفر مبالغ ضخمة<sup>(91)</sup> غير أن تلك المبالغ طبت رهينة  
بقوة الدولة وبالحروب التوسعية التي تشنها، إذ بمجرد تنهي هذه  
الحروب تتوقف تلك العائدات، مما يضطر الدولة إلى البحث عن  
مصادر بديلة داخل الحال الخاص لها، وتلك نقطة صعب مركزية في  
الاقتصاد التابع من "اسلوب الإنتاج الحربي"، من الطبيعي، إذن، أن  
يسنسلر الحكام لإغراء فرض ضرائب لا يفرها الشرع<sup>(92)</sup>، مع  
ما يعني ذلك من ضرورة التسلح ديبيا وسياسيا لمواجهة محلفات  
وتبعات مثل هذا القرار

ومما يؤكد الطابع العسكري للدولة الموحدين أن مبررات  
الاقطاع عرفت نمولا جذريا على عهد ما ف- أبو جعفر الداودي<sup>(93)</sup>  
المتوفى بثلثان عام 402هـ/1011م يحصر المستحقين للإقطاع  
في الفئات الاجتماعية المقهورة من صنف الفقير أو كثير العيال،  
أو المديار وكل من قدم خدمة للإسلام والمسلمين غير أن  
م يلاحظ هو أن جل هذه الأصناف بدأت تحتفي من لائحة  
المنقطعين بدءاً من القرن الخامس الهجري، و المارودي المتوفى عام

450هـ/1058م وضع الحمد على رأس قائمة المستحقين للإقطاع، الأمر الذي بهض حجة على الحصور البارز للعسكري في المجتمعات المشرقية وفي العرب الإسلامي من الموحدين، فإن المؤهل الحربي اعتبر شرطاً أساسياً للحصول على الإقطاع<sup>(94)</sup> ف علي بن عبد الله المنيطي الأنصاري المنوفي عام 570هـ/1174م اشترط في المنقطع أن يكون ممن تنتفع الجماعة شجاعته، فإن "أقطع الإمام لمن هذه صفته جاز الإقطاع"<sup>(95)</sup>.

من خلال مجمل النصوص التي أوردناها حول حصور الحمد في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، يمكن اخلص الى أن العرب الإسلامي خلال عصر الموحدين عرف تشكيلة اقتصادية واجتماعية بعلب عليها "أسلوب الإنتاج الحربي، فإذا كانت القوة المنتجة أمشكلة من وسائل الإنتاج وعلاقاته هي الجانب الحاسم والمحدد في كل أسلوب للإنتاج، فإن هذه القوة في المغرب الموحدي كانت في خدمة الحرب. فطغيان الهر العسكري على المجتمع المغربي خلال عصر الموحدين، جعل المؤهل الحربي يتفوق على ما سواه من المؤهلات صحيح أن العمل التجاري خاصة البعيد المدى، كان له مردود كبير طوال فترة مهمة العصر الوسيط، إلا أن فعالية هذا النشاط كانت وثيقة الارتباط "بالعز" والسيطرة العسكرية

فبدون قوة عسكرية ضخمة ما كان بإمكان الموحدين أن يحافظوا على نفوذهم البحري غير أن الحماط على قوة ونفاسك الجيش كان يتطلب تكاليف مالية باهظة فالتدخلات العسكرية

التي استشهدت الحفظ على وحدة الدولة، أورد هجومات  
امسيحيين كانت تستند جل مسجرات خزيمة الدولة ولإعادة  
النوارس المعنود كان الجهاز الحاكم يلجأ إلى فرض انصرائب على  
كل الاشطة الاقتصادية دون تمييز بين المنحة منها وملك التي  
كان تكفي، الكاد، لسد رمق ممتيها

داخل هذا السياق وحدة يمكن أن نهر تلك الإشارة الواردة  
عند الشريف الإدريسي والتي نهر سكان مراكش، ذلك أن أهل  
مراكش يأكلون الحراد، ويبيع منه كل يوم الثلاثون حملاً فما  
دونها ووقوفها نقالة، وكانت أكثر الصنع متفيلة عليها مال لا رر مثل  
سوق الدحار والصابون والصبر والمعارل، وكانت القبة على كد  
شيء ببيع دق أو جل، كل شيء على قدره<sup>(96)</sup>

وطبيعي في مثل هذه المنوعات المحاربة أن يحظى الحمد بمرتبة  
مرموقة في سلم الهرم الاجتماعي والحكام كانوا يعنمون أن  
فناءهم في السلطة رهين بمدى قوة الجيش ونماصكه من هذا، أيضاً،  
لا عجب إذا وجدنا مزرعي العصر الوسيط يرطون بين هزيمة الجيش  
في إحدى معارك الكبرى، وبين انهيار الدولة، وتندم دولة  
موحدين لمودح الأمثل للدول ذات النوى العسكرية، فاشعاعه  
لسياسي والاقتصادي كان الجيش من ورائه، كما وأن بداية انحلالها  
وشنة الارتباط بهزيمة الجيش في معركة "العقاب" بالأندلس

وقد نظر ابن خلدون إلى أهمية أرباب السيوف في الدول  
الوسطية حينما أشار إلى أن صاحب الدولة يحناح إلى مساندتهم

في طورين من الأطوار الثلاثة التي تمر منها الدولة. طور التأسيس وطور الازدهار. بينما لا تحتاج إلى أرباب الأعلام (المثقفون) إلا في وسط أسوأه أي في فترة الاستقرار وطراً لهذه الأهمية، فإن أرباب السيوف يكونون "حينئذ أوسع جأها وأكثر رغبة وأسنى إقطاعاً"<sup>197</sup> ومهما كان، فإن "أسلوب الإنتاج الحربي" كان هو الأسلوب المهيمن على المجتمع العربي خلال عصر الموحدين. وقد سبق أن أشرنا إلى مداخلة التكاليف المادية والبشرية التي تطلبها معارك الدولة الحارحية، فضلاً عن المصاريف المرسودة لتوفير البيئات التحننية الضرورية لممارسة الحرب كالحصون والقلاع والجسور وغيرها. كما أن قسماً كبيراً من رصيد الدولة العقاري وصف لخدمة رجال الدولة والقواد العسكريين وشيوخ القبائل والثوار الثائمين و"طابور" القهاء والعلماء المدافعين عن السياسة الحربية والمذهبية للدولة.

## هوامش

1. لاكوسب، إيما، "العلماء ابن خلدون" ترجمة ميشال سليمان، ط 1، بيروت 1974 ص 18.
2. محمدر "كتاب الحرب" مخطوط الخزانة العامة الرباط رقم د 1584 (ص 1 ص 4) وشير إلى  
 3. لعمري من وصفا لا الخطوط لا عموان له في الأصل.
3. راجد مخطوط بحرته مسجد ابن يوسف براكش.
4. علا عن "العبر في خبر من عبر" ص 253.

6. أحسبي، أبو قتلاح بن العنابة "تذكرة الذهب في أخبار من ذهب" بيروت: مؤسسه دار الكتب، ج 4، ص 83.

7. ابن حلكان، أبو الفيلس شمس الدين، "وفاة الأعيان وثناء أئمة أهل البيت" دار صادر بيروت: مؤسسه دار الكتب، ج 7، ص 3 وكذلك للعسكري أحمد بوراس، "الغدير المحمدية عن لسان العرب" مخطوط، خزانة العامة، الرباط، رقم د 2263، ص 296.

8. المصدر الأخير، ص 256.

9. عبدسي، الشاذلي، أبو عبد الله محمد، "أحسن التأسيس في معرفة الأقاليم" ط 11، بيروت 906، ص 215.

10- Guichard(P) et autres "Etats, sociétés et cultures du monde musulman médiéval X XV siècles" N. chn, P V F Paris 1994, P 231

11- Cerlier (M.J): "La Géographie de l'histoire du Maroc" Memorial Henri Basset, T.XV Paris, 1928, P 159

12. المقدمة، ص 257

13. شبه، ص 294

14. من المصدر والمصحح

15. روض القرطاس، ص 282

16. أحمد الموشية، ص 109

17. بولطيب، أحمد، "استلوك الإسلام في المغرب والنحوال المعاني" - آله المغرب "الوسط" مجلة كنية، راب مجلد، العدد الثاني 1995، ص 77

18. البين، المغرب، ص 170

19. أبو القطار، أبو علي، "نظر الجبال لروسة" ماسك من أخبار برمان "محميو محمود" على مكتب دار العرب الإسلامي، بيروت 1990، ص 187

20. المعجب، ص 379

2. أخبار المهدي بن شمر، ص 35 37 38 51

22. أبو حمزة، أحمد، "أمر ما يطلب" غدير وعيسى عمار الطالبي، الجزائر 85، ص 369 422



23 صورة الصف 10 12

24 عمر موسى (عمر الدين) "المؤرخون في العرب الاسلامي تقويماتهم وظهر" في العرب  
لإسلامي، بيروت 1991، ص 251

25 Montagne (R): "Les berbères et le Mazen dans le sud du Maroc" Cas-  
ablanca 1989 p 61

26- بينان المغرب ص 20-21

27- أبو نفرا سماعيل "تاريخ بني أفقا" دار صادر- دار بيروت دون تاريخ، ص 244 وكذلك  
ابن لاثير أبو الحسن: "الكامل في التاريخ" دار صادر- دار بيروت 1966، ج 0، ص 575

28- نظر بجان، ص 102-103-104

29- أجباز، لهدى، ص 69

30- مغربيات الواردة في هذا الجدول مستقاة من كتاب "الحرب الأهلية" ص 69-70-71-72

31-Meunier (J) "Le Maroc saharien" Librairie Kunck siècle. Paris  
1982.p 260

99-97 حول الجماعات والأوبئة ص 32-

33- بينان المغرب، ص 16

34- منه، ص 318-319-320-321

35- منه، ص 77

36- المختار التوشية، ص 137-138

37- البيان المغرب، ص 347

38- منه، ص 234

39- المجراني، أبو الحسن علي، "كتاب حبي رهرة الاس في سملية تاس" مع "عماء الشيخ الفرد  
بل، الجزائر 1966 ص 32 وكذلك: دوس القرطاني، ص 189 جلدو الانتباه، ج 1، ص 34

40- لادريسي، بر عبد الله الشريعة، "المغرب العربي من خلال مرآة المسند" حقه وحله التي  
الترسية محمد حاج صاوش، باريس 1983 ص 101-102

41- لادريسي، من التفاصيل حول ظاهرة الخراب، "العديني خلال العصر الوسيط وأجمع" - السبيعي  
إلى حد، "علامات المدرسة المغربية في الآداب المجراني الوسيط: دلالات الخراب" ص 33 كتاب

٢٥-١١ "الربيع والاسباب" مشهور في كلية أدب الرياض ص 11-25

42 ابن حنبلون أحمد الرحمة "التعير وديوان الميمون والحمر" تحقيق سهيل زكدر دار الفكر بيروت، 1981 ج 6 ص 353.

43 الأوربي أبو محمد عبد الله "الوسيلة إلى المغرب في كرامات لقولي أبي يعقوب" مخطوط  
محرمة الحسية، رقم 9447 ص 235. وكذلك الأخير دلسيه ص 39 الإعلار ج 7 ص 25

44- البين المغرب ص 424

45- روض القرطاس ص 283

46- الأخير في السيرة ص 94-95

47- نفسه ص 95

48- البين المغرب ص 315

49- نفسه ص 417

٩٠- مجهول "حول بناء مدينة فاس وجامع الترويين والاندلسيين" مخطوط رقم 773 ص 1

٩١- الوليدي أبو الفضل راشد بن راشد "كتاب الحلال والحرام" مخطوط رقم 203 ص 19

٩2- حول الجماعات والأوقاف ص 112

٩3- النشاط الاقتصادي ص 223

٩4- اناري أحمد الهدي "أوقاف المعاصرة في القدس" المجلد 1، 1981 ص 9-10

٩٥- المندوب ص 407

٩6- الاستعمار ص 141

٩7- المصير ج ٩ ص 32

٩8- نفس المصير والمير ص 33

٩9- حول برعية هذا الانتصار وعوامل نموه وانهاره راجع

جورجس ابراهيم الصادري "المغرب والاندلس في عصر المرابطيين" دار الطليعة بيروت، ط 1  
1993 ص 17-18

٦١- لجري محمد عابد "العصبة والنزول" دار البيضاء 1979 ص 162

- 61- احمدية ص 280-281-797
- 62- البيان المغربي ص 437
- 63- البيان المغربي ص 305
- 64- اس غاري ابي عبد الله محمد "الروح الهوى بن اخبار مكتبة الزينوي" محيي عبد الوهاب  
من منشور الرباط 1964، ص 19
- 65- المنصف الشريف ص 61 وكذلك، للمختلي لمحيي بن ابي عبد الله المازوي، "الدرر مكتوبة في  
بوزر مازوية" مرخ، ج. الرباط رقم 521 ص 402-412-413.
- 66- المنصف الشريف ص 61
- 67- المنهاج الواضح، ص 327.
- 68- العطاء الجليل، ص 167-171
- 69- نفسه، ص 170
- 70- نفسه، ص 169
- 71- نفس المنصف والصحة
- 72- نفس المنصف والصحة
- 73- مجهول، "كتاب في سلف الشيخ ابي العباس احمد بن جعفر السبي" مرخ، ج. رقم 416  
ص. م. ورقة 5.
- 74- العروى احمد، "مجلد تاريخ الحرب" المركز الثقافي العربي، 1994 ج 2، ص 163
- 75- البيان المغربي، ص 186
- 76- نفس المنصف والصحة
- 77- نفسه، ص 259
- 78- كتاب مدته نصر كتيبة الفخر الصغير حاليا، تابعة لولاية سببه ومن مر فان العائد الذي  
عذر هو عامل سببه كما كانت تعرف هذه للتربية ايضا نصر مصوده، وهي من امراة الاساسية  
بعبور عبود المعارة الى الاتملي
- 79- البيان المغربي ص 260
- 80- نفسه، ص 263



# خاتمة



لقد بينا خلال هذا العمل المتواضع كيف أن الجوانح والكوارث الطبيعية ظلت مصاحبة للمجتمع المغربي عبر تاريخه الطويل، وطرأ لظالمها السبوي، فإن الدولة والمجتمع لم يكونا يعتبرانها طواهر مناخية أو شيئاً جديداً لم يسبق التعامل معه، فنصامس الدولة والمجتمع كان، دوماً، يقلل من وقع هذه الكوارث ويحد من خطورتها.

ومن خلال السردج الذي أحضرناه، وهو نموذج المغرب الموحد، يلاحظ أن الدولة قامت بالأدوار المروطة بها تجاه رعاياها فقد كانت، في أغلب الأوقات، حاضرة إبان الكوارث الكبرى، محاولة التدخل للتخفيف من وقعها على الشرائح السطى من المجتمع، حيث كانت تفتح محازبها أمام الفقراء والحياء، الأمر الذي كان يقلل من حجم الخسائر الديموغرافية.

على أن ما نجب الإشارة إليه هو أن أغلب البصرص التي تتوفر عليها حول الكوارث الطبيعية عمر الحواصر دون البوادي. إذ مارنا لا نعلم هل قامت دولة الموحدين، تجاه سكان البوادي بنفس الأدوار التي قامت بها تجاه سكان الحواصر والحق أن هذه الشعرة التي تعاني منها مصادر المرحلة ليست الوحيدة ذلك أن هذه المصادر تلتزم الصمت كلما نعلو الأمر سكان البوادي، فالحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافة لهؤلاء السكان

نعم من عيوب شبه ثامر. وقد أشرنا داخل المتن إلى أن عقليته، موزح  
سجمل المسؤولية المركزية في "تعقيب" حياة الأغلبية المستحقة  
والافتقار على تنوع حياة الخلفاء والسلاطين وكبار الفؤاد العسكريين  
وسيوخ القبل والفقهاء المدافعين عن الاختيارات المذهبية للدولة

تأسيساً على ما سبق، ينبغي مطروحاً على البحث التاريخي في المغرب  
تركيز الاهتمام على لمرشحات الحلقات المعنوية من تاريخه خاصة  
التاريخ البعيد عما سببها كتاريخ العصر الوسيط، وفي حقله التاريخ  
الاقتصادي والاجتماعي والادبي للسأكة القروية من أهم الحلقات التي  
يجب إحيائها ذلك أن توسعها أن نعرض العديد من النقط الغمضة التي  
تدور تاريخ المغرب خلال تلك الحقبة والحقب التي تليها

بلور هذه الخطوة، سيظل تاريخ المغرب الوسيط يسير على رأسه  
بدل قديمه، وفي المقابل، فإن بقاء "طبقة" العامة خارج إطار الاهتمام  
سيجعل كتابتنا أشبه ما يكون بكتابة العصر الوسيط، وفي تنبيري من  
المدعرات المسادية بإعادة كتابة تاريخ المغرب في محرد نقليات، لا  
تستند على أسس موضوعية فإذا كان المؤرخون الأوروبيون  
والأمريكيون بطائرون بإعادة كتابة تاريخهم، فإن هذه المطالبة تنطق  
من معضبات وانعية لعل أهمها أن تاريخهم قد مر إحياءه بالكامل، ومن  
بعد هناك أي عصر يعاين من الإحجاف. كما أن هذا التاريخ كتب  
بمناهج وروى محتله ومبانية أما تاريخنا، فإن الحدث عن أعارة كمنه  
بعد صر من البحث فكيف يمكن المطالبة بإعادة كتابة تاريخ من كتب  
بعد، كما صر؟ ومهما كان، فإن الحدث عن تاريخ المغرب موضوعه  
ومناهج كمنه قد نفردنا إلى إثارة مشاكل جادة لس هذا مكد.

لم تكن دولة الموحدين مؤازرة ومساندة رعاياها من كوارر  
الجفاف وحدها، بل لقد سجلنا أيضاً كيف تدخلت لمخاربة الأوبئة الفتاكة  
ومحاولة إبعاد العلاجات الضرورية للقضاء عليها، أو على الأقل بتحديد من  
خطورها فقد أنشأت مستشفيات أو مدارس ذات لاستقبال المرضى كما  
تكتب علاجهم وتعلمهم وليأسهم وحتى بمصاريف سفينة وفي  
أوقات دانه أهدمت على خلق محنمرات لصناعة الأدوية وللمعالجين  
والأشربة

ومما يؤكد بلوغ دولة الموحدين قمة التطور الحضاري خلال العصر  
لوسيط أن الأدوية المصنوعة لم تكن تسلم للمرضى إلا بعد أن تكون  
قد جربت فعاليتها على الحيوانات، ولعل الدلالة الزمنية اثبتية خلف هذا  
الإجراء هي أن الدولة الموحدية كانت تعتبر رعاياها رأسماً يستجيد  
التمريض فيه على أنها لأحظا، أيضاً كيف أن بعض الحلفاء كانوا يقومون  
بعملية إعداد حمامية لأطفال رعاياهم مع تسليمهم هدايا بالمنااسبة

صحيح أن الدولة كانت تعجز في بعض الأحيان عن مقاومة بعض  
الأوبئة الفتكة وعلى رأسها وباء الطاعون، غير أن هذا العجز لم يمنعها  
من تسخير حصرها إلى جانب رعاياها ولتوس الناحية المسببة أما  
بالمسبة لوباء الحذام فإن دولة الموحدين عملت على أشده حارات خاصة  
بالمجدي، وقامت لهم في الوقت دانه الحماية اللازمة ضد أي نزعة عدائية  
كان سديها سكان الحواضر التي تقع بها مثل هذه الحفارات

لقد سجلنا الموقف اللاتاريخي للعقلاء من الحروب عندما أخرجوها من  
دائرة الكوارث والحواجز، فقد رأينا كيف أن الحرب كان لها تأثير فاد  
بكثير ناثير الكوارث الطبيعية والأوبئة والأمراض الفتاكة على أنه



سعي الاعتراف بأن المحروب المتكررة للدولة بما ستج عنه عادة، من  
حساب شرية وأصرار اقتصادية لم تكن أمراً اختيارياً. فقد لاحظنا بار  
المرحلة تغيرت سيادة "نمط الإنتاج الحربي" الذي يتفرع عنه اقتصاد  
يمكس عنه "اقتصاد العود" وفي مثل هذا الاقتصاد، يحصل الجهد مركزاً  
محور على اعتبار أنه هو الذي يقوم بتوفير الأمر الضروري لتنشيط  
الحياة الاقتصادية، الشيء الذي يضمن عائدات مالية مهمة للحزبة الدولة

غير أن الجيش إذا كان يقوم بهذا الدور المحوري فإنه في المفيد  
بستهلك قسماً كبيراً من مخزونات الحزبة على شكل أحور وأعطينت  
وكسوات وأسلحة من المعروف أنه كلما نصحت أعداد الجود، تضخمت  
معهم بشكل موازي متطلباتهم وحاجياتهم. فهل يستطيع تقدير حاجيات  
جيش جرار قدره 600 ألف جندي رافقوا الباصر الموحد إلى بلاد  
الأندلس لرد زحف النصارى؟

وهكذا، فإذا كان الجيش مصدر قوة الدولة عند تأسيسها فإنه يتحول  
إلى عبء عليها خلال فترة الاستقرار، وفي المراحل المتأخرة من حياتها.  
فيان مرحلة الاستقرار يتحول الجود إلى مستهلكين لأن مهامهم الحزبية  
تجهدهم يتعالون فوق المنتجين المباشرين. أما خلال فترات الأزمة، فإنهم  
يتحولون إلى عبءهم الأساسي ذلك أن وطبيعة الحماية تتحول من  
لمؤسسة العسكرية بشكل تدريجي إلى دولة داخل الدولة الأمر

وهكذا، فإن الأموال المتحصلة بواسطة الحرب يصرف قسط منها  
لشبهى المعارك المنقبة، بينما يصرف قسط آخر على تدبير شؤون البلاط  
واحدة على عائدات البذخ والترف التي وسعت حياة الخلفاء الموحديين  
فلا عرامة والحالة هذه، إن لابعي القسط المتبقى لتحويل المشاريع ذات

اسمع العام التي ظل العمل فيها يعتمد على المبادلات الترددية مما لم يوهبها للعب الأدوار الاقتصادية والاجتماعية المروطة بها فالنروية الداعية من "أسلوب الانتاح الحرسي" ليست قليلة للنمو، لانها وبكل ساطة- ليست حصيلة صراع الإنسان مع الطبيعة، ولا هي نتيجة استثمار، بل هي نروية نائمة عن الاستيلاء على الحيرات الجاهزة.

وبالمثل، فإن البحث أشار أكثر من مرة إلى أن دولة الموحدين عيّنت اللاحس الأمني في تعاملها مع الماعلين الاقتصاديين بمختلف شرائحهم على نية الهواجس الأخرى، الشيء الذي لم يؤهلهم للمساهمة الفعالة في تحريك عجلة النمو الاقتصادي، ذلك أن دولة الموحدين لم تنكر بى في الملاحير والحرفيين والتجار سوى مصدر للمال لتمويل حملاتهم العسكرية وأداء رواتب جندها وموظفيها وتزوير حاجيات البلاء.

والحاصل أن دولة الموحدين اعتبرت المحال والسكان المصعبين لها مجرد مصدر للمال لتمويل حروبها المتعددة من هنا، فإن عادة التعكير في الحرب من مطور حديد بتجاوز السرد "الكروبولوجي" للمعارك، إلى دراسة تأثيراتها على الاقتصاد والمجتمع والثقافة والعقليات، بإمكانها أن تفتح آفاقاً وأعدة أمام البحث التاريخي العربي عامة والعربي بشكل خاص بى لى تعالى إذا قلنا إنها قد تقدم عناصر جديدة تساهم في الإحانة على السززال الحصارى المطروح على المجتمعات العربية مدا "نحلمنا" و"نقدم" عبرنا؟

## محاور ومراجع البحث

## 1- المصادر المخطوطة:

- 1- الأردني أبو الوليد حسام بن عبد الله، المفيد للحكام في معرفة الجور ورازد الأحكام، م.خ.ع. الرباط رقم 877.
- 2- الأرسوزي، أبي عبد العظيم، "مجمع الشافعي ونسب العارفين" م.خ.ع. الرباط رقم 343.
- 3- الأنصاري أبو عبد الله محمد، "السجدة المختارة" م.خ.ع. الرباط رقم 1914.
- 4- الأرسوزي أبو محمد عبد الله، الرسالة التي لفرغون في كرامات الأولياء م.خ.ع. الرباط رقم 947.
- 5- مورس أحمد، الناصر للسياسة، "الحجرات" م.خ.ع. الرباط رقم 2253.
- 6- البدر، أبو القاسم أحمد، "العتاة الخليل" م.خ.ع. الرباط رقم 814.
- 7- النعماني، أبو القاسم، "الأنوار" م.خ.ع. الرباط رقم 17.
- 8- من جوف أبو القاسم، "الأنوار" م.خ.ع. الرباط رقم 17.
- 9- الأرسوزي أبو الوليد، "المفيد للحكام" م.خ.ع. الرباط رقم 877.
- 10- الأرسوزي أبو الوليد، "المفيد للحكام" م.خ.ع. الرباط رقم 877.
- 11- الأرسوزي أبو الوليد، "المفيد للحكام" م.خ.ع. الرباط رقم 877.
- 12- الأرسوزي أبو الوليد، "المفيد للحكام" م.خ.ع. الرباط رقم 877.
- 13- الأرسوزي أبو الوليد، "المفيد للحكام" م.خ.ع. الرباط رقم 877.
- 14- الأرسوزي أبو الوليد، "المفيد للحكام" م.خ.ع. الرباط رقم 877.
- 15- الأرسوزي أبو الوليد، "المفيد للحكام" م.خ.ع. الرباط رقم 877.
- 16- الأرسوزي أبو الوليد، "المفيد للحكام" م.خ.ع. الرباط رقم 877.
- 17- الأرسوزي أبو الوليد، "المفيد للحكام" م.خ.ع. الرباط رقم 877.
- 18- الأرسوزي أبو الوليد، "المفيد للحكام" م.خ.ع. الرباط رقم 877.
- 19- الأرسوزي أبو الوليد، "المفيد للحكام" م.خ.ع. الرباط رقم 877.
- 20- الأرسوزي أبو الوليد، "المفيد للحكام" م.خ.ع. الرباط رقم 877.
- 21- الأرسوزي أبو الوليد، "المفيد للحكام" م.خ.ع. الرباط رقم 877.
- 22- الأرسوزي أبو الوليد، "المفيد للحكام" م.خ.ع. الرباط رقم 877.
- 23- الأرسوزي أبو الوليد، "المفيد للحكام" م.خ.ع. الرباط رقم 877.
- 24- الأرسوزي أبو الوليد، "المفيد للحكام" م.خ.ع. الرباط رقم 877.
- 25- الأرسوزي أبو الوليد، "المفيد للحكام" م.خ.ع. الرباط رقم 877.
- 26- الأرسوزي أبو الوليد، "المفيد للحكام" م.خ.ع. الرباط رقم 877.
- 27- الأرسوزي أبو الوليد، "المفيد للحكام" م.خ.ع. الرباط رقم 877.
- 28- الأرسوزي أبو الوليد، "المفيد للحكام" م.خ.ع. الرباط رقم 877.
- 29- الأرسوزي أبو الوليد، "المفيد للحكام" م.خ.ع. الرباط رقم 877.
- 30- الأرسوزي أبو الوليد، "المفيد للحكام" م.خ.ع. الرباط رقم 877.





### 3- الدراسات العربية

- [illegible]

#### 4- التلاوة العربية

- ١١٦ البربر أحمد الامير، تحول البعث والارثه المغرب خلال العصر الوسيط، مجلة كلية ادار الرباط العدد ١٩٩٨، ١٩٩٨.
- ١١٧ رافعيه «الحسين»، اسلمه الاماع الطويل، والتحول للمغرب خلال العصر الوسيط، مجلة كلية ادراب جديده، عدد ١٩٩٩.
- ١١٨ بنوعيه «الحسين» النكرانه والبربر، كرسية الرباط، مجلة خلال عصره الطراطين والموهدين، «مجلة در ساب عربيه العدد ١٩٩٩، ربيع ١٩٩٩.
- ١١٩ سبيد بنجيد، مدرسة التوحيد، تفسير النخيل البربر، مرجع لعل، عدد ١٩٩٩، ١٩٩٩.

- 104- السيفي اعيد الأحدا: "علامات المدينة المغربية في الأدب المغربي الوسيط في دلائل المغرب" منشور ضمن كتاب "التاريخ والمجتمعات" مطبوعات كلية آداب الرباط 1992.
- 105- الكائنوني احمد المبدئي: "والطب وأثره بالخاصة مراكش" مجلة المغرب السنة الخامسة 1936.

## 5- الدراسات الأجنبية

- 106- Clauze (P): "L'Espagne Européenne du XIIIe au XVe siècle" Nouvelle édité P.U.F. Zone ED. 1983.
- 107- Devorden (G): "Marrakech des origines à 1912" Rabat 1959.
- 108- Duhuy (G): "L'Europe au moyen âge" Flammarion 1984.
- 109- Perbut (H): "Le Maghreb aux XIIème et XIIIème siècles: Les siècles de la foi" ED. Tallada, Carablanca 1993.
- 110- Guichard (P) et autres: "Etats, sociétés et cultures du monde musulman médiéval X-XV siècles" Nouvelle édité, F.U.F. 1995.
- 111- Kahly (M): "Variations islamiques et identité du Maroc médiéval" Librairie Souny-Larose, Paris 1984.
- 112- Leroy (L.): "Histoire du temps depuis l'an mil" Paris 1967.
- 113- Michaux-bellière et salaman (G): "EL Qsar EL Kober: une ville de province du Maroc septentrional" Archives marocaines Vol. 31, Fasc 2 Paris 1905.
- 114- Millot (R): "les Almohades" Paris 1923.
- 115- Montagne (R): "Les berbères et le Maghreb dans le sud du Maroc" Afrique-orient- occidentale 1989.
- 116- Mourid (J): "Le Maroc Saharien" Librairie Klinckschield Paris 1982.

## 6- دلائل الأجنبية

- 117- Celerier (M.J): "La géographie de l'histoire du Maroc" Memorial Henri Basset, publication de l'institut des hautes études Marocaines, T.XVII, Paris 1928.
- 118- Perbut (H) et Triki (H): "Hagiographie et religion au Maroc médiéval" Hespéro Tarnada, Vol XXIV, 1986.



# محتويات الكتاب

3..... تمهيد

7..... مقدمة

11..... مدخل

## المبحث الأول

17..... مفهوم الجائحة

## المبحث الثاني

41..... الجوائح الطبيعية

## المبحث الثالث

87..... الكوارث غير طبيعية.. الحروب نموذجاً

123..... خاتمة

129..... مصادر ومراجع البحث





الكتاب القادم

# البنية الثقافية وقضايا الفكر في المجال العربي الإسلامي

د. محمد تضرعوت

منشورات الزمن



الغلاف: من تركيب الزمن